وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي سي الحواس بريكة-

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مادة

النظريات المعاصرة في علم الاجتماع

موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع

اعداد الدكتور: بن منصور اليمين

السنة الدراسية:2021-2022.

محتوى المطبوعة

1.مدخل ص04

2.المحاضرة الاولى: النظرية الوظيفية الجديدة في علم الاجتماع ص08

1.2.النظرية الوظيفية الكلاسيكية عند تالكوت بارسونز ص08

2.2.الوظيفية الجديدة عند جيفري الكسندر ص12

3.2.الوظيفية الجديدة عند نيكولاس لومان. ص12

3.المحاضرة الثانية: نظرية الصراع بعد كارل ماركس: ص14

1.3.نظرية الصراع عند رالف داهرندورف ص15

4.المحاضرة الثالثة البنيوية التكوينية عند نوبرت الياس ص16

1.4.التعريف بنوربرت الياس. ص16

2.4.مفاهيم سوسيولوجية عند نوربرت إلياس. ص17

1.2.4.مفهوم السوسيولوجيا ص17

2.2.4.التصورات السوسيولوجية لنوربرت الياس. ص18

أ.حول سيرورة الحضارة. ص21

ب.ثنائية الالتزام والحياد. ص21

ج.مفهـــوم الهابيتوس. ص22

5.المحاضرة الرابعة البنيوية الجنينية عند بيار بورديو . ص25

1.5.التعريف ببيار بورديو. ص25

2.5. علم اجتماع الهيمنة من منظور بورديو. ص26

3.5. قاموس بيار بورديو. ص27

6.المحاضرة الخامسة التفاعلية الرمزية عند ارفنغ غوفمان ص29

7. المحاضرة الخامسة: لوكمان توماس وبيتر بيرغر: البناء الاجتماعي للواقع. ص37

1.7.التصورات النظرية الأساسية للنظرية الفينومينولوجية. ص35

2.7. الفينومينولوجية المعدلة. ص35

8.المحاضرة السادسة: انطوني جيدنز نظرية الانعكاسية الاجتماعية. ص41

1.8.تقييم نظرية التشكل البنائي. ص47

9.المحاضرة الثامنة: علم اجتماع العلوم. ص49

قائمة المراجع ص52

مدخل: نشأت السوسيولوجيا من محاولة فهم الشأن الاجتماعي والتأثير عليه، وقد تطورت بشكل مواكب للتطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وهي بالتالي بموضوعها تعد انعكاس لعصرها أكثر من أي علم أخر. بمعنى انعكاس لقيمه وقلقه وللعلاقات الاجتماعية وللمشاكل الاقتصادية والسياسية.

إذن اتت السوسيولوجيا من ظروف تاريخية خاصة حصلت فيه مجمل التغيرات الاجتماعية، الثورة التكنولوجيا، توسع الرأسمالية، التحضر، ظهور المشاعر القومية والديمقراطية، تبدل في القيم والمعتقدات. وما رافقها من مطالب اجتماعية.

وقد حصل هذا إذن في التقاء ثلاث ثورات، سياسية (الثورة الفرنسية 1789-1799). واقتصادية '(الثورة الصناعية اختراع الالة البخارية ق18 وق19 ببريطانيا). والثورة الفكرية (انتصار العقلانية والعلم والفلسفة الوضعية).

فالقسم الاول يخص طبيعة المجتمع، فالتفكير الذي كان سائدا في المجتمعات الاوروبية قبل الثورة محكوم بقوى خارجية متعالية أو طبيعية، أما في المجتمعات الحديثة فإن الاجتماعي يمتلك قوانين عمله الخاصة التي يمكن الكشف عنها، وقد فتح **ايميل دوركايم** الطريق أمام **"اكتشاف الاجتماعي"** من خلال تبيان كيف يكون انتحار الفرد وهو فعل شخصي بامتياز محددا بقوى اجتماعية(دينية، شبكة العلاقات، المهنة...).

كما كان القرن التاسع عشر فترة الثورة الصناعية، فانطلاقة الراسمالية التجارية ومكننة اجراءات التصنيع، وخلق وحدات انتاجية واسعة، وتشكل الطبقة العاملة، والتمدن. كلها مظاهر لهذا المجتمع الجديد.

كما نشأت السوسيولوجيا من تغيير ثالث وهو ظهور الفكر العلمي والعقلنة، لقد اعلن **أوجيست كونت** بداية عصر الفلسفة الوضعية، عالم مبني على التفسير

العلمي، الخاضع لمعرفة الوقائع وللتجربة. لقد ابتكر مصطلح **"السوسيولوجيا"** وأراد أن يجعل منها ميدانا للملاحظة الامبريقية الصارمة بخصوص الظواهر الاجتماعية. كما وصف **ماكس فيبر** تاريخ الحضارة الرأسمالية على أنه انتصار للفكر العقلاني، وسير نحو "نزع السحر عن العالم".

كل هذه التحولات والتغيرات خلقت الحاجة إلى المعرفة وإلى الأدوتة، تحت شكل معرفة منظمة وصارمة، لذا فإن تاريخ السوسيولوجيا ما هو إلا استجابة لاهتمامات مختلفة.

فالسوسيولوجيا كعلم مهتم بالظواهر الاجتماعية هو في المقام الأول وسيلة لتشخيص ولمعالجة الحالات المرضية وتحسين وظيفة أعضاء المجتمع وتخفيف المعاناة الاجتماعية كما عبر عن ذلك **فريديريك لوبلاي** أحد رواد البحث الاجتماعي. ومن جهة أخر ى يبدي **ايميل دوركايم** -الاب المؤسس للسوسيولوجيا الفرنسية- قلقه على ما أسماه **الانوميا** وهي فقدان نقاط الاستناد المرتبط بتقسيم المجتمع، فهو من قلقه على التماسك الاجتماعي رأى في السوسيولوجيا وسيلة من أجل فهم أفضل لهذا التهديد بغية الحد من آثاره.

على العموم وبحسب المقاربات ظهر موقفان متعارضان، موقف يقول بالنزعة **"الموضوعية"** وخارجي ورمزه **إيميل دوركايم** : على عالم الاجتماع أن يعتبر الوقائع الاجتماعية بمثابة **"أشياء"** كي يتمكن من تفسيرها. أما المنهج الاخر فيسعى بدلا من ذلك إلى أن يفهمها، فهم ذاتية الافراد من الداخل عن طريق الحلول محلهم. هذه **السوسيولوجيا الاستيعابية** التي تقوم على الفهم متبناة من قبل **ماكس فيبر** وتنطلق من مبدأ أن ما يصنع المادة الأولية للاجتماعي هو فعل الافراد وأننا لا نستطيع فهم الفعل إلا بالوصول إلى المعنى الذي يضفيه الأشخاص عليه.

واعتبرت السوسيولوجيا الامريكية منذ بدايتها خبرة اجتماعية، زرعت قبل نظيراتها الاروبية في الجامعة وتم الاعتراف بها كوسيلة للفعل. وترسخت - السوسيولوجيا الامريكية- مبكرا في الجسم الاجتماعي. حيث ظهرت في مجتمع ناشئ وديناميي يُخلق كل يوم، ومع مشاكل استقرار الاقليات وتعايشها، وتمركز السكان في المدن، فقد ظهرت **مدرسة شيكاغو** في بداية القرن 20 (مؤسسها **سمول البيون** التي تندرج ضمن تقاليد السوسيولوجيا الحضرية، وتفضل المناهج الكمية القائمة على المشاركة.على عكس مدرسة كولومبيا التي تسعى عن طريق دراسات واسعة النطاق إلى وصف المجتمع الأمريكي والتي اصبحت عاصمة النزعة الأمبريقية القائمة على التكميم) من أجل تحليل هذه الظواهر، وفيما بعد وبدافع فكرة فهم محددات المردود في العمل، قام **التون مايو** رائد السوسيولوجيا الصناعية، بالشروع في سلسلة تجارب في معامل جنرال الكتريك في هاوثورن .

وهذا فإن مأسسة السوسيولوجيا الامريكية وديناميتها فيما بين الحربين تعزى إلى سياق اقتصادي وثقافي. كما ساهم صعود النازية في أروبا هذه الهيمنة، إذ هاجر العديد من علماء الاجتماع اليهود الاروبيين إلى أمريكا (**بول لازرسفيلد، تيودور أدورنو، هربرت ماركوز، ألفرد شوتز**). "هاهي السوسيولوجيا الأروبية تعبر الأطلسي". وخلافا لما حدث في أروبا فقد حرضت الحرب على البحث بدل أن توقفه. ابتكر **جورج غالوب** استطلاعات الرأي، ودرس **لازارد سفيلد** آليات التأثير والدعاية، وأدار **صموئيل ستوفر** خلال الحرب العالمية الثانية مختبرا من أجل دراسة معنويات الجنود الأمريكيين.

ويمكن اعتبار مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة العصر الذهبي للسوسيولوجية الامريكية، فمن خلال اقتران الازدهار الاقتصادي مع السلم الاجتماعي، عثرت الولايات المتحدة على الإيمان بقيمها. لم يعد الأمر متعلقا بتجنب المخاطر، بل بدراسة ظروف التغيير الاجتماعي المتناغمة، في جو من

الاستقرار. إن البناء النظري الواسع **لتالكوت بارسونز** الذي يطرح من خلاله مبادئ استتباب المنظومة الاجتماعية وسير عملها، يعكس بشكل خاص روح العصر المتفائلة والاندماجية، أي انتصار الطريقة الأمريكية في الحياة. غير أنه خلال الستينيات عرفت الولايات الأمريكية زمن الفتن العنصرية وحرب فيتنام فبزغت سوسيولوجيا جديدة. لجأ **تشارلز رايت ميلز** إلى التخيل السوسيولوجي. ونقد **هربرت ماركوز** بعيوب مجتمع الوفرة . وفي مقابل هيمنة فكر السوسيولوجيين الكبار (لازار فيلد و بارسونز) اختار أتباع التفاعلية العودة إلى ميكروسوسيولوجيا المبادلات اليومية، وانكبوا على تيمات كالانحراف، المخدرات، الجنون. إن مسرحة الحياة الاجتماعية كما تبدوا في أعمال **إرفنغ غوفمان** تترجم رؤية تشاؤمية للمجتمع الأمريكي.

أما السوسيولوجية الفرنسية التي كانت في حالة احتضار في نهاية الحرب العالمية الثانية عاودت بناء نفسها في الفترة الديغولية ، وبإرادة السلطات العامة مُولت مختبرات وجامعات وبرامج أبحاث ومجلات... وبدأ من عام 1970 ومع نهاية تأثير الماركسية والبنيوية ضعفت التيارات الأكثر كلية لصالح نظرة أكثر تجزيئا وتفاعلية للمجتمع. وكان ذلك بفضل المجددين أمثال (جان شوتزل، جورج غورفيتش، جورج فريدمان، ريمون أرون). وخلال الثمانينات بقي حقل السوسيولوجيا متأثرا بأربعة تيارات معترف بها، أربعة أعمال أساسية: أعمال بيار بورديو، ريمون بودون، وميشيل كروزيه، وألان تورين. وكان عقد التسعينات أصبح البعد التفاعلي والتشييدي الحاصل من التاثير المتزايد لباحثين مثل زيمل وإلياس نوربرت وبيكر وغوفمان يحتل مكانا أكثر أهمية. وساهمت حصيلة سوسيولوجيا المعرفة والمنهجية الإثنية والعلوم الإدراكية وظهور باراديغمات جديدة مثل تحليل الشبكات في زيادة انقسام حقل البحث السوسيولوجي في فرنسا (دورتيه، 2010، صفحة 8)

المحاضرة الاولى: النظرية الوظيفية الجديدة في علم الاجتماع

حظي التيار النظري الوظيفي في الفكر السوسيولوجي بألقاب متعددة (الوظيفية، البنائية الوظيفية، التوجه الوظيفي، الاتجاه الوظيفي، النظرية الوظيفية)، ومن المفهومات الأساسية المرتبطة بالمسلمات والأفكار المرتبطة بالاتجاه الوظيفي؛أن كافة الأبنية الاجتماعية الأساسية تسهم في تكامل النسق الذي تعمل من خلاله، وفي تكيفة واندماجه. إن وجود بناء أو نمط معين واستمراره في البقاء يمكن أن يفسر في ضوء نتائجه وأثاره، وهي نتائج وآثار يفترض سلفا أنها ضرورية ومفيدة للمجتمع موضوع الاهتمام (زايتلن، 1989، صفحة 15).

1.النظرية الوظيفية عند تالكوت بارسونز: ظهرت النظرية الوظيفية الجديدة انطلاقا من نقد النظرية الوظيفية **لتالكوت بارسونز** . ولتقديم تحليل مناسب للنظرية الوظيفية الجديدة ينبغي التطرق إلى أهم القضايا السوسيولوجية للنظرية الوظيفية عند تالكوت بارسونز.

إذن احدى القضايا التأسيسية للسيوسيولوجيا تقوم على أسس النظام الاجتماعي. وهذا ما يسميه بارسونز بسؤال هوبز. كيف نعمل بطريقة أن الناس وهم في الحالة الطبيعية "ذئاب" فيما بينهم يقبلون العيش المشترك؟. قدمت الفلسفة الاجتماعية حلين لهذا السؤال. جواب هوبز .المطلوب هو سلطة قوية وهي الدولة ترتفع فوق المجتمع وتثبت قوانين الحياة المشتركة. والجواب الثاني هو جواب **جون لوك**. ينجم المجتمع عن عقد، عن المبادلات، عن تلاقي المصالح المشتركة.

غير أن **بارسونز** يصرح بأنه لا هذا الشرط ولا ذاك يكفي من أجل حماية النظام الاجتماعي، فالسلوكيات الاجتماعية ليست محددة فقط عن طريق المصلحة الانانية أو بالخضوع للقوانين. فالفعل الاجتماعي محدد أيضا بالقيم والمعايير. ويمكن للافعال الفردية أن تتناغم فيما بينها لأن الفاعلين الاجتماعيين يتصرفون من خلال استيعاب قيم المجتمع ومعاييره. انطلاقا من هذا التصور للفعل الاجتماعي يطور بارسونز نموذجا عاما يهدف إلى فهم المنظومة الاجتماعية في

مجملها. ففي كتابه "المنظومة الاجتماعية سنة 1951" يدافع عن نظرة منظومية ووظيفية للمجتمع.

فلكي يظهر المجتمع مستقرا لا بد أن يستجيب إلى عدة وظائف: التكيف مع المحيط (adaptation) الذي يؤمن بقاء المجتمع، ثم متابعة الاهداف (goal) لان المنظومة لا تقوم بوظيفتها إلا إذا اتجهت صوب هدف ما. ثم اندماج الاعضاء بالزمرة (integration)، وأخيرا المحافظة على الانماط والمعايير (latent pattern) ويطرح بارسونز استخدام الاحرف الاولى (AGIL) كإجراء سهل من أجل التفكير بوظائف المنظومة الاجتماعية.

وتتوافق مع كل وظيفة من هذه الوظائف منظومة ثانوية، فالمنظومة الثانوية الاقتصادية تستهدف التكيف، والمنظومة الثانوية السياسية مكلفة بتحديد الغايات، والمنظومة الثانوية الثقافية (دين، مدرسة) مكلفة بتحديد المعايير والقيم وبصيانتها، أخير المنظومة الثانوية الاجتماعية مكلفة بالإندماج الاجتماعي. وعلى كل منظومة ثانوية أن تؤمن بدورها الوظائف الاربعة AGIL لكي توجد. فالمنظومة الثانوية الاقتصادية لا يجب أن تكتفي بوظيفة الانتاج عليها أيضا القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للعمال، وتحديد غاياتها الخاصة والمحافظة على معاييرها. وفيمايلي مخطط الوظائف الاربعة لبارسونز:

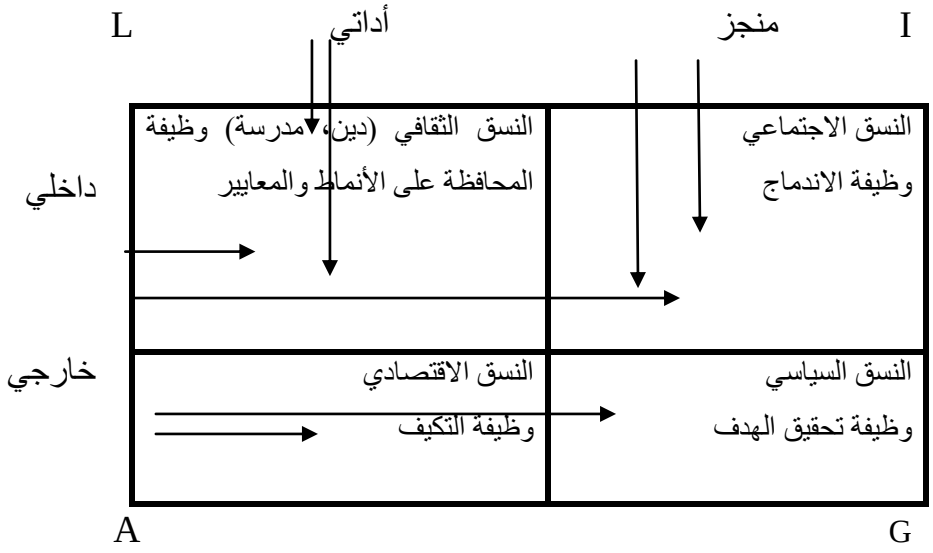

مخطط الوظائف الأربعة (لومان، 2010، صفحة 32)

وتفهم اعمال بارسونز في سياق اجتماعي وفكري خاص، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فترة نمو واندماج اجتماعي قوي. حيث يقدم بارسونز

رؤية اندماجية للمجتمع الأمريكي. فالأفراد يحلمون وهم يبحثون عن عمل ثابت بالإستقرار وبتشييد منزل لهم وبالنجاح في مهنة . ومن وجهة النظر هذه تبدو نظرية تالكوت بارسونز بمثابة سيوسيولوجيا الطريقة الامريكية في الحياة.

ومجمل النقد الموجه للوظيفية هو النظرة الأحادية لأبعاد التوازن وتحقيق الأهداف، وعلى الجوانب الكامنة والمستقرة للنسق الاجتماعي. والاستغراق في استخدام الأبعاد الثقافية والمعايير في التفسير . وإهمال لافت لعنصر هام في فهم التغير وتطور المجتمع وهو الصراع الاجتماعي.

حيث اعتبرها (رالف دار ندورف) من قبيل اليوتوبيا. واعتبر (رايت ميلز) في كتابه (التصورات السوسيولوجية) أن بارسونز قدم مبررات أخلاقية لإستمرار القوى المتحكمة في السلطة. من خلال التركيز على الاستقرار وتحقيق التوازن ومراقبة سلوك الافراد، بفرض قيم ومعايير فوقية تقاوم مسبقا أي مجاولة للتغيير.

ويقول انطوني جيدنز في هذا السياق: "لقد تعرض بارسونز لهجوم شديد لإهماله البحث في مواضيع تتعلق بالصراع والقوة، ولذا فإن طروحاته كانت يمكن ـأن تكون أكثر ثراء لو أن بارسونز كرس بعضا من أحدث كتاباته وخصصها في موضوع القوة والظواهر المرتبطة بها،الأمر الذي يكشف غيابها عن مسرح الأحداث بالرجوع إلى مؤلفاته الضخمة".

ربط جورج هواكو صعود وانحدار البنائية الوظيفية بمكانة المجتمع الأمريكي في النظام العالمي مع صعود أمريكا إلى الهيمنة العالمية بعد عام 1945. حققت البنائية الوظيفية الهيمنة داخل علم الاجتماع. دعمت البنائية الوظيفية مركز أمريكا المهيمن في العالم بطريقتين:

اولا: وجهة النظر البنائية الوظيفية القائلة ان لكل نمط عواقب تسهم في الحفاظ على النظام الاكبر وبقائه.

ثانيا:كان التركيز الوظيفي البنيوي على التوازن (أفضل تغيير اجتماعي هو عدم التغيير)؛ يتناسب جيدا مع مصالح الولايات المتحدة؛ التي كانت حينئذ الامبراطورية الاغنى والاقوى في العالم، تزامن تراجع هيمنة الولايات المتحدة في العالم في السبعينيات مع فقدان البنائية الوظيفية موقعها البارز في النظرية الاجتماعية (ستيبنسكي، 2021، صفحة 149).

وتحت تأثير التطورات الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي العالم وفي سياق التحولات التي يعيشها الحقل السوسيولوجي منذ نهاية الستينيات تعرضت الوظيفة إلى جملة من الانتقادات دفعت بعدد من تلاميذ تالكوت بارسونز إلى العمل على تجديدها وجعلها نموذجا تحليليا كفيل بالسماح لفهم الظواهر الاجتماعية المعاصرة، ويمكن تلخيص هذه الانتقادات إلى ثلاثة مسائل أساسية:

1- هيمنة الطابع التجريدي النظري على الوظيفة.

2- إهمال سير الجماعات الاجتماعية الصغيرة والعلاقات الفعلية للسلطة ووضعيات الصراع.

3- الميل إلى المبالغة في تقدير القدرات الاندماجية للأنساق في مواجهة التغيرات الاجتماعية.

4-محافظة سياسيا وغير قادرة على التعامل مع التغير الاجتماعي بسبب تركيزها على البنى الثابتة، وغير قادرة على تحليل النزاع الاجتماعي بنا يكفي (ستيبنسكي ج.، 2021، صفحة 150).

ومن بين علماء الاجتماع الذين عملوا على تخليص الوظيفية من هذه الانتقادات وتجديد نماذجها التحليلية، نذكر الأمريكي جيفري ألكسندر ، والألماني نيكلاس لومان.

2.الوظيفية الجديدة عند جيفري الكسندر: يقترح **جيفري ألكسندر** إدخال تعديلات على نظرية **بارسونز** وخاصة فيما يتعلق بشقها النسقي . وفي هذا الإطار يدعو إلى تطبيق مقاربة وظيفية جديدة تنظر إلى المجتمع باعتباره يتكون من عناصر متفاعلة تشكل نسقا أو أنساقا مختلفة عن المحيط الخارجي ويخضع تطورها لعدة متغيرات غير محددة مسبقا من طرف أية مؤسسة أو جهة. ولفهم كيفية حدوث هذا التطور بهذه الكيفية يقترح جيفري ألكسندر التوفيق بين الاندماج والانحراف وكذلك بين النظام والصراع، كطرفين لعملية واحدة. إلا أن حدوث السيرورات الوظيفية تحت تأثير عدة متغيرات تتم في نظر ألكسندر تحت نظام أسبقية منطق النظام (تناسق تعدد الأفعال) على منطق الفعل ، أي دون التخلي عن المبدأ الأساس للنظرية الوظيفية وهو أسبقية الكل الاجتماعي على الفرد . يؤكد ألكساندر أن الوظيفية الجديدة قد تجاوزت وظيفية بارسونز من خلال محاولة احتواء نظرية الصراع و التفاضل الاجتماعي والتغير .

3.2.الوظيفية الجديدة عند نيكولاس لومان: أما **نيكلاس لومان** الذي يعتبر الممثل والمؤسس الالماني لنظرية الانساق العامة التي تتميز بأسلوبها الجديد في النظر إلى مجتمعي الحداثة وما بعد الحداثة، فبالنسبة للومان لم يعد مبدأ تحديد التركيب الاجتماعي قائما على التقسيم الكلاسيكي (شريحة الاقطاع/شريحة الفلاحين مثلا) بل يرى ان التركيب أخذ منحى التمييز بين المجالات الاجتماعية

الجزئية المختلفة أو كما يقول لومان تمييز الانساق الوظيفية. كنسق السياسة أو الاقتصاد أو التربية أو القضاء إلى غير ذلك من الانساق. إذا نظرية الانساق العامة هي نظرية شاملة يمكن تطبيقها على كل الانساق أكانت اجتماعية أم نفسية، بيولوجية، ادراكية معرفية، وقد ساعد التجريد الشديد الذي اتبعه نيكلاس لومان على تحقيق هذه الشمولة التي تتسم بها نظريته.

يتم التواصل داخل كل نسق بناء على منطق ذاتي مستقل عن منطق الانساق الاخرى. يسميها لومان بالانساق الوظيفية لان كل منها يتفرد بوظيفة اجتماعية مهمة. فنسق القضاء يصوغ المعايير القانونية العامة ويدفع لتنفيذها. أما نسق العلوم فينتج معارف خاصة بالحقيقة. ونسق السياسة يتخذ قرارات ملزمة للجميع. وكل الانساق مبنية بشكل مشابه كما يرى لومان ولا يمكنه القيام إلا بوظيفته.

فيقترح تعديلا عميقا للنظرية الوظيفية، بفضل قراءاته لأطروحات البيولوجيا الجديدة ونظرية الأنساق والسبرنطيقا ونظريات الإعلام. استعار لومان نظرية الأنساق الحية القادرة على إعادة النتائج نفسها كما استعار عن نظرية الأنساق مفهوم الأنساق ذات آليات الضبط الذاتي Systèmes auto référents [1].

اعتمادا على هذه المرجعية تمكن لومان من تجديد نظرية بارسونز حول الأنساق وحول الوظيفة واقترح ثلاثة أنواع من الأنساق وهي :

- الأنساق الحية التي تنظم نفسها على أساس مساري ومتطلبات الحياة.

- الأنساق النفسية التي تنظم نفسها على أساس مساري الوعي والإدراك.

- الأنساق الاجتماعية التي تطور بفعل الاتصال.

الموضوع الذي اغفله بارسونز المتمثل في الصراع اسهب لومان في تحليله. على اساس أن تالكوت بارسونز يغالي في تقدير الاجماع ويقلل من أهمية النزاع.

فالاشكالية هنا هي: هل من الممكن أصلا تصور نظريات على مستوى الاجماع مقابل النزاع، أو التعاون مقابل التنافس؟. تكمن الاجابة في وجود ظواهر أو عمليات التكيف. إن وجود كلا الطرفين الاجماع والنزاع، التعاون والتنافس في المجتمع تطرح قضية تعددية القيم، بمعنى أنه لم يبق كاختيار فض بين امكانيتين. فالاعتراف أن النزاعات بالتحديد هي انساق بامتياز. بحيث كما يمكن الحديث عن التعاون كنسق يمكن كذلك تسليط الضوء على النزعات كنسق في نظرية الانساق. فالنزعات بالذات هي انساق شديدة التكامل. وترتبط النزاعات بدرجة الصيرورات الاجتماعية فإذا كانت شديدة الارتباط تنتقل النزاعات وتتوسع. أما إذاكانت ضعيفة الارتباط يكون عزل النزاعات والتحكم فيها سهلا وممكنا.

أما ما يعاب على الوظيفية الجديدة أن نقدها كان ايديولوجيا أكثر من كونه موجه لجوهر النظرية البارسونزية لكنه كان كافيا بشكل أو بأخر ليقف حائلا دون العمل على نظرية أنساق اجتماعية.

أما من ناحية أخرى فقد أُتهمت على أنها ليست جديدة، لأن المنظورات التي تحاول أن تجد لها ركائز في طروحات بارسونز هي قائمة فعلا و تشكل الإطار العام للحركة النقدية حول طروحات بارسونز. لذلك كان من اللائق استخدام علم الاجتماع متعدد الأبعاد بدلا من الوظيفية الجديدة. على هذا يصف إيان كريب الوظيفية الجديدة بأنها تمثل نوعا من الصراع الداخلي للنظرية، و على حدّ قوله : " فكأن أحدا اقتحم خزائن ملفات بارسونز و خلط محتوياتها ثم ادعى أن النظام الذي حفظت به الملفات غير ذي أهمية."

3.المحاضرة الثانية: نظرية الصراع بعد كارل ماركس:

خلافا للمنظور الوظيفي يصور منظور الصراع المجتمع على أنه حالة دائمة من التغير والصراع، وفي ذات السياق ولكن من منظور توفيقي يركز منظور الصراع بعد ماركس أو الماركسية المحدثة على الجمع بين الصراع وتوازن

النسق. وهو ما طرحه كل من (جورجل زيمل ودارندورف)، كما سياتي تتبع أفكارهما بشيء من التفصيل:

1.3.نظرية الصراع عند رالف داهرندورف Ralf Dahrendorf :فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ولد عام 1929 . له عدة مؤلفات أشهرها الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي. يرفض Ralf Dahrendorf الاطار النظري العام والموحد، حيث يؤكد أن توحيد النظرية غير عملي إلى درجة حيرت المفكرين منذ بداية مسيرة الفلسفة الغربية. بمعنى منذ مسيرة علم الاجتماع. ولذلك هو يحتفظ بالوظيفية إلى جانب الصراع. ويعتبر أن كل نظرية قادرة على تفسير ظواهر لا تستطيع النظرية الاخرى تفسيرها. وبالتالي لم يرفض Ralf Dahrendorf الافكار الوظيفية-كما زعم جوناثان تيرنز- بل يعتبرها مفسرة لظواهر بيعينها في المجتمع

ولكن تأثره بافكار كارل ماركس الاجتماعية والاقتصادية، يتضح انه يهتم بافكار الصراع . لأن التاكيد أو الاعتماد على التوازن والاستقرار يفضي إلى اليوتوبيا Utopia خاصة الافكار التي تقول بوجود صراع طبقي في المؤسسات الصناعية. إلا أنه لا يعتقد بأن هذا الصراع بين الطبقة العمالية وارباب العمل وليس ماديا كما يعتقد كارل ماركس. انما الصراع في المؤسسات الصناعية والادارات الحكومية وحتى العسكرية يكون بين الطبقة العمالية (عمال التنفيذ والموظفين الصغار) والطبقة التكنوقراطية (الجامعيين الكوادر العلمية التي تحتل مراكز قيادية في المؤسسات).

ينشا الصراع من سيطرة الطبقة التكنوقراطية على القوة والنفوذ في المراكز الادارية التي يشرفون عليها. كما الطبقة التكنوقراطية لا تملك المشروع الاقتصادي بمعنى ليست مالكة لوسائل الانتاج بل فقط تسيره وتديره مقابل راتب

محدد. وانما مالكي المشروع الاقتصادي هم المساهمين الذين يمولونه ويحصلون عللى الارباح.

يؤكد كذلك Ralf Dahrendorf أن الترابط القسري هو ما يجعل التنظيمات الاجتماعية متسقة، معنى ذلك أنه في كل تنظيم اجتماعي هناك مواقع مدعمة بالحق لممارسة السيطرة على المواقع الاخرى من أجل تأكيد القهر الفعال. وهذا يعني أن هناك توزيع تفاضلي للقوة والسيطرة.

يعرف Ralf Dahrendorf القوة أنها تشير إلى امكانية احد الفاعلين في علاقة اجتماعية فرض ارادته من خلال موقعه رغم مقاومة الاخرين.

والفرق بين القوة والسلطة يتمثل في أن القوة ترتبط بشخصية الافراد (الكارزيما)، بينما تتمركز السلطة في المواقع الادارية بمعنى شرعية القوة التي يمنحها المركز الاداري. وهي مستقلة عن الاشخاص.

يركز كذلك Ralf Dahrendorf على علاقات السلطة التي تسمح بتشكيل جماعات الصراع بشكل نظامي داخل التنظيمات. بمعنى ان جماعات الصراع هذه تكمن في أنها تنتج عندما تمارس السلطة. وهي في الاصل جماعتين رئيسيتين هما الجماعة المسيطرة التي تملك السلطة وتمارسها، والجماعة الخاضعة المستبعدة من ممارسة السلطة.

4.المحاضرة الثالثة البنيوية التكوينية عند نوبرت الياس

1.4.التعريف بنوربرت الياس: يعد نوربرت إلياس (Norbert Elias) من أهم السوسيولوجيين الألمان، ومن كتابها المتميزين الأفذاذ. ولد سنة 1897م في بريسلو (Breslau) بألمانيا، وتوفي سنة 1990م بأمستردام بهولندا. ويتميز - سوسيولوجيا- بكتابه القيم (حول سيرورة الحضارة)، وقد ظهر في فرنسا في مجلدين تحت عنوان (حضارة القيم، وديناميكية الغرب) ، وأضيف إليه مجلد

ثالث وهو (مجتمع البلاط). وله مؤلفات أخرى، مثل: السوسيولوجيا والتاريخ، وما السوسيولوجيا؟ ومجتمع الأفراد، والرياضة والحضارة، وموزارت: سوسيولوجيا العبقري، وراء فرويد ، والالتزام والحياد: مدخل إلى سوسيولوجيا المعرفة...

إذاً، كيف يتصور نوربرت إلياس علم الاجتماع؟ وما أهم تصوراته السوسيولوجية؟ وما أهم مفاهيمها النظرية والتطبيقية؟ وما أهم الانتقادات الموجهة إلى سوسيولوجيا نوربرت إلياس؟.

2.4.مفاهيم سوسيولوجية عند نوربرت إلياس.

1.2.4.مفهـــوم السوسيولوجيا: تهدف السوسيولوجيا عند نوربرت إلياس إلى دراسة الأفراد والمجتمع على حد سواء، إذ لا يمكن عزل طرف عن طرف آخر. وبالتالي، تنكب السوسيولوجيا على دراسات العلاقات الموجودة بين الأفراد داخل المجتمع، إذ لايمكن دراسة الفرد بمعزل عن الجماعة أو المجتمع. كما للمجتمع وبنياته ومؤسساته تأثيرا واضحا في هؤلاء الأفراد إلى حد الجبرية والحتمية.

ويعني هذا أن إلياس يوفق بين الفعل وبنية المجتمع على غرار بيير بورديو(Bourdueu)، ولوسيان كولدمان(L.Goldmann)، وجيدينز(Giddens)، وغيرهم...أي: يجمع بين الفهم والتفسير، بين الذات والموضوع، بين الحتمية والحرية، بين المنهجية الكلية لدوركايم والمنهجية الفردية لماكس فيبر. ويسمى هذا الجمع بالانبناء السوسيولوجي.

ومن جهة أخرى، تعنى السوسيولوجيا بدراسة آداب السلوك لدى الأفراد، وفهم أفعالهم وسلوكياتهم الملموسة، ورصد علاقاتهم التفاعلية التبادلية، واستجلاء مختلف التحولات التي تنتاب الأفراد على مستوى الانبناء المجتمعي، عبر سيرورة الحضارة وتغيرها من حالة إلى أخرى، في ضوء المعطيات التاريخية،

والمجتمعية، والسياسية، والاقتصادية، والنفسية. ولافرق بين السوسيولوجيا والسيكولوجيا عند نوربرت إلياس، ولاسيما أن الباحث يدرس المجال العاطفي والشعوري والانفعالي والوجداني لدى الكائن الإنساني، في ضوء المقاربة السوسيولوجية.

2.2.4.التصورات السوسيولوجية لنوربرت الياس: لايمكن فهم آراء نوربرت إلياس إلا باستعراض مضامين كتبه السوسيولوجية، واستجلاء قضاياها الظاهرة والمضمرة، على النحو التالي:

أ.حول سيرورة الحضارة: ينقسم كتاب (حول سيرورة الحضارة) لنوربرت إلياس- الذي صدر سنة 1939م- إلى أجزاء ثلاثة هي: حضارة آداب السلوك، وديناميةالغرب، ومجتمع البلاط.

تتبع نوربرت إلياس آداب السلوك في أوروبا الغربية من فترة زمنية إلى آخرى، ومن مكان إلى آخر، معتمدا على السوسيولوجيا العامة، وتمثل المقارنة كالتي عقدها بين فرنسا وألمانيا على صعيد الثقافة والحضارة، أو الاعتماد على التاريخ بغية تتبع هذه القيم في مراحلها الزمنية، والاستعانة بعلم النفس لدراسة مجموعة من التصرفات الجنسية والجسدية والعاطفية والانفعالية والوجدانية.

بالأحداث والوثائق الطريفة أدخل نوربيرت إلياس في التحليل التاريخي والسوسيولوجي للغرب مفهوم حضارة آداب السلوك.يمكن للفكرة التي ظهرت في ثلاثة مجلدات، أن تختزل بشكل سهل: يوضح إلياس أن الحضارة هي مسألة آداب السلوك، وخاصة تلك المتعلقة بالقواعد الصغيرة والكبيرة التي تفرض نفسها على استخدام الجسد وإشباع الحاجات والغرائز والرغبات البشرية.غير أن هذا البعد الأخلاقي عرف تطورا ملحوظا في أوروبا بدءا من عصر النهضة، كان الإنسان القروسطي يعيش في نوع من البربرية الساذجة إلى حد ما، وفي حرية حقيقية بخصوص التعبير العنيف عن مشاعره ورغباته، ولإشباع حاجاته

الأكثر مادية، دونما انشغال بنظرة غيره. وبدءا من القرن السادس عشر، شرع كل ذلك (اللياقة، وآداب الطعام، وقواعد الحياء، والحشمة) بالقوننة عن طريق نبلاء البلاط. وفي القرن الثامن عشر، استولى البورجوازيون على آداب السلوك هذه. وفي القرن التاسع عشر، بلغت الحركة أوجها وشاعت أيضا؛ كان العصر عصر الأخلاق الطهرية التي تدعى " النظافة أو العناية الصحية. هل مازلنا فيها حتى الآن؟ هذه مسألة آخرى.إذ يرى إلياس أن هذه الحركة غير المكتملة ترسم كامل التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للغرب؛ بسبب أن تطور آداب الجسد هذه ناجمة عن تعميم نمط لشخصية هي شخصية نبيل بلاط."

ويلاحظ إلياس أن سلطة الدولة هي المحرك الحقيقي للحضارة، فقد تحول المحاربون الإقطاعيون إلى نبلاء البلاط، وشكلوا ما يسمى بالسلطة الملكية. ومن ثم، فقد فرض الأمير أو الملك قواعد اللياقة على حاشيته والمحيطين به، ثم ترابط المجتمع عضويا ووظيفيا، بعد صعود البورجوازية، وازدياد تقسيم العمل بين أفراد المجتمع الواحد، وكانت آداب السلوك خاضعة للمراقبة الذاتية والضبط الداخلي. وفي هذا، يقول فيليب كابان(Philipe Cabin) وفرانسوا دورتييه (Jean-François Dortier):" إن تطور آداب السلوك- كما يوضح إلياس- ما كان له أن يحدث دون تدجين المحاربين، وتحويلهم إلى نبلاء في البلاط: نشاهد بالفعل بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر، في فرنسا على الأقل، صعود السلطة الملكية، وتحول الطبقات الإقطاعية إلى نبلاء البلاط. وهناك فرضَ الأمير أثره في كامل حياة المحيطين به في البلاط" الحب، والحرب، وآداب المائدة، واللياقة، وقواعد النزاعات. وفي الوقت ذاته، كان المجتمع يغتني ويزداد تعقيدا، فأصبح الناس أكثر اعتمادا على بعضهم البعض، وارتبطوا عضويا عن طريق تقسيم العمل.ولم يعودوا يقدرون على العيش منفصلين في جماعات منغلقة على نفسها.وهنا، كما يقدر إلياس، يكمن السببان الرئيسيان لظهور أخلاق مؤسسة على السيطرة المتزايدة على الغرائز البدنية والوجدانية، في الطبقتين المهيمنتين،

النبلاء والبورجوازية. لم يعد الأمر متعلقا فقط بتطبيق قواعد اللياقة والحياء والتحاشي، إنما بالوصول إلى الضبط الذاتي لكل واحد، خاصة فيما يتعلق بالاحتكاكات الجسدية والجنس والعنف."

ومن ثم، فقد بلغت آداب السلوك في القرن التاسع عشر الميلادي قمة الرقي والتهذيب والتطهير الأخلاقي والمحاسبة الذاتية، إذ كان العري ممنوعا، وكان قليله يثير الضحك والسخرية بين الجميع، وكان الحديث عن الجنس مع الأطفال عيبا ورذيلة وعارا. بمعنى أن القرن التاسع عشر هو قرن الممنوعات والمقموعات والمكبوتات فيما يخص الجنس، والنظافة، واللياقة، واستخدام العنف، ولم تكن تلك المعايير الانضباطية مجرد قوانين عامة، بل تعد أيضا ثقافة. إنه قرن استبطان التهذيب. وقد كتب إلياس " أن تطور آداب السلوك في جانبه الحديث، يتصف باستبطان متزايد للمعايير؛ مما يجعل الآليات الاجتماعية للمنع لاضرورة لها. بالنسبة له، ليست الحضارة فقط مسألة لياقة في المجالس الرسمية ؛ فهو يعلم جيدا أن هناك ممنوعات وطقوسا معقدة قد توجد عند شعوب تعتبر بدائية.فحركة الحضارة تسير عن طريق مبادىء كونية، وتصيب وعي الفرد بالذات. باختصار، لم يعد الأمر متعلقا فقط بقواعد السلوك، بل بمشاعر داخلية إحساسا بالذنب وندما، وتعيد إنتاج نفسها بنفسها، وتشبه الكبت عند فرويد."

علاوة على ذلك، يعنى نوربرت إلياس بسيوسيولوجيا الجسد في شبقيته وماديته وشهواته ونزواته وغرائزه، بالتوقف عند تقنياته على غرار دراسات السوسيولوجي مارسيل موس(M.Mauss)، وربط هذا الجسد بالعفة والعري، وعلاقة ذلك بالهابيتوس، والانبناء المجتمعي، والمراقبة الذاتية، والمحاسبة القيمية، وتصوير طبيعة المجتمع على مستوى الثقافة والحضارة. ويعني هذا أن العواطف والأهواء خاضعة للقيم والتقاليد والعادات والأعراف.

كما اهتم نوربرت إلياس بسوسيولوجيا الرياضة بإشتراك مع تلميذه إيريك دانين (Dunning)، إذ أثبت أن جميع المجتمعات، سواء القديمة منها أم الحديثة، قد عرفت الرياضة، وتتميز الرياضة مقارنة بالهوايات الأخرى بقلة العنف، على الرغم من الاحتكاك الصارم الموجود بين الأجساد الرياضية داخل مجال اللعبة. علاوة على احترام القواعد المكتوبة وغير المكتوبة التي تتحكم في اللعبة. ومن ثم، فهي تهدف إلى غرس القيم الوطنية والقومية، وتحقيق الظفر والانتصار، وتمثل القواعد، والسعي الجاد نحو الاستمتاع باللعب.

ومن ثم، فقد حلل الباحثان الظاهرة الرياضية في بعديها المزدوج: إذ يتعلق البعد الأول بالتطبيق الجسدي، ويرتبط البعد الثاني بما هو ترفيهي. وهنا، يتم التركيز على الجسد باعتباره نتاج سيرورة الحضارة.

هذا، وقد انتقلت الرياضة من الألعاب التقليدية العنيفة (الرومان) نحو ألعاب تحد من العنف والعدوان. بل يمكن القول :إن الهابيتوس الرياضي لايقتصر على اللعبة في مجالها الداخلي فحسب، بل يمتد هذا الهابيتوس حتى خارج هذا المجال على مستوى السلوك والتصرف والتطبع الاجتماعي.

ب.ثنائية الالتزام والحياد:

استعمل نوربرت إلياس، في كتابه (مدخل إلى سوسيولوجيا المعرفة)، مفهومي الالتزام والحياد، ويحيل المفهومان معا على ثنائية الذاتية والموضوعية. ويعني هذا أن الدارس يبحث عن الطريقة التي ينبغي أن يتعامل بها السوسيولوجي مع الظواهر المجتمعية، فهل سيبقى محايدا أم يدخل ذاته في البحث؟

ويحيلنا هذا أيضا على إشكالية عويصة في العلوم الإنسانية، هل يمكن التعامل معها على الأساس الوضعي التفسيري؟ أم على الأساس التفهمي الروحي ؟ أم على أساس الجمع بين الفهم والتفسير على حد سواء ؟

ويعني هذا أن الحياد يستلزم الموضوعية في البحث السوسيولوجي.أما الالتزام، فيعني إدخال الذات أثناء التعامل مع الظواهر المجتمعية.

وفي الحقيقة، يتضمن كل سلوك جانبا من الموضوعية الحيادية، وجانبا من التدخل الذاتي (الالتزام).أي: يمكن دراسة الفرد في ضوء المقاربة السوسيوتاريخية، بغية فهم كيف يتطور سلوكه أو فعله المجتمعي عبر التاريخ، ضمن سيرورة الحضارة، ورصد مختلف العلاقات التفاعلية بين الأفراد في علاقتهم مع محيطهم وبيئتهم.

ومن ثم، يوفق نوربرت إلياس بين الفهم والتفسير، ويرفض دراسة الظواهر المجتمعية تفسيرا علميا ووضعيا فحسب، بالاعتماد على التفسير والمقارنة والتكميم الرياضي أو الإحصائي ؛ لأن ذلك يخلق نوعا من الحياد الوهمي.لذا، لابد من الجمع بين الذاتية والموضوعية من جهة، أو بين الفهم والتفسير من جهة أخرى.

ج.مفهـــوم الهابيتوس:

لقد وظف نوربرت إلياس مصطلح الهابيتوس(Habitus) في الثلاثينيات من القرن العشرين، قبل أن يستعمله بيير بورديو في كتاباته السوسيولوجية المتنوعة. ويعني الهابيتوس عند الباحث تلك المعرفة المجتمعية المستضمرة أو المخزنة لدى الأفراد بشكل غير واع، وتتجذر مع مرور الوقت بفعل الأسرة أو المؤسسة أو الحزب أو الدولة. وبالتالي، تدل على هوية الفرد. كما تدل على هوية الجماعة . ويحيل هذا على ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية أو التطبع أو الاندماج الاجتماعي، سواء أكان فرديا أم جماعيا.أي: تشرب الأفراد لمجموعة من المعايير والقيم والعادات المجتمعية، بفعل الاحتكاك والتطبع والتماثل مع البنيات الموضوعية. ويتميز الهابيتوس بالديمومة والتحول والتطور التاريخي، وانتقاله من جيل إلى آخر. ومن ثم، فقد ركز الباحث، في دراسته للحضارة الغربية

الأوروبية، على الهابيتوس الوطني والهابيتوس الهوياتي. ويعني هذا أن كل دولة لها هابيتوس خاص، يتخذ بعدا وطنيا وهوياتيا، كما عند الألمان - مثلا-.

نقـــد وتعليـــق: خضعت آراء نوربرت إلياس لانتقادات عدة من وجهات علمية مختلفة. ففي مجال التاريخ، انتقده الباحثون في كونه أهمل فترة القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يتعرض لها في كتابه (حول سيرورة الحضارة) بشكل دقيق وواضح. كما أن الأنتروبولوجيين ينتقدونه في موضوع الحياء والحشمة على أساس أن الباحث اعتمد على وثائق قليلة غير مناسبة في هذا المجال.

وعلى العموم، تتميز مفاهيمه السوسيولوجية بالغموض، وصعوبة الفهم والاستيعاب من قبل القراء، ولاسيما مفهوم الانبناء والهابيتوس...

وقد أثبت السوسيولوجي الإنجليزي ستيفن مينل (Mennell Stephen) أن نظريات نوربرت إلياس تصلح لدراسة الدول الغربية، ولكن لاتصلح لتحليل نشأة دول أمريكا الشمالية. وكذلك، لاتنطبق على الدول العربية التي قامت على احترام القيم الأخلاقية، وضبط آداب التصرف وفق المنهج الإسلامي، بل يتميز المجتمع العربي والإسلامي بكونه مجتمعا محافظا تسوده الحشمة والعفة والتستر. وأكثر من هذا، لايمكن أن نعتبر عري المرأة على الشاطىء حضارة أو حرية أو ثقافة أو مساواة. وبالتالي، على الآخر أن يضبط نفسه سلوكيا وغرائزيا. بينما هذا السلوك الشائن تعبير عن مدى الإسفاف الحضاري، وانحطاط القيم، إذ يثير الاشمئزاز والفتنة والغواية، ويساعد على انتشار البغاء والإباحية وتردي الحضارة. ومن ثم، تؤدي الإباحية والرذيلة والمبالغة في الترف إلى سقوط الدول وانحطاطها، كما يقول ابن خلدون في مقدمته لعلم العمران.

ومن جهة أخرى، بقي الكتاب " من جهة علماء الاجتماع أكثر تشكيكا، وظهرت الانتقادات باكرا.هل بإمكاننا أن نجعل التهذيب وليد عصر النهضة، كما لو أنه لم يكن لعصور أخرى وقارات أخرى فترات من حضارة متقدمة؟ إذا كانت الأمم

الأوروبية وحدها تملك الحياء.فما حال الآخرين؟ يجتهد إلياس في كتاب (دينامية الغرب) لتبيان أن ظهور مجتمع البلاط هو أمر مؤكد في كافة القارات.لكن ألا توجد طرائق أخرى للوصول إلى الحضارة من غير الخضوع إلى سلطة الدولة؟ ألا تصف قصص الإثنولوجيين بالتحديد وجود مجتمعات ذات طباع متمدنة مهذبة بغياب سلطة الدولة؟ "

وهناك من يشكك في أطروحة العري في العصر الوسيط كما أثبتها إلياس، فقد اعتبر المؤرخ بيتر ديور(Duerr)، في كتابه (العري والحياء)، " اللامبالاة القروسطية تجاه العري مجرد أسطورة: فالحالات التي يصفها (الحمامات، واحتفالات العراة، والتنزه في الهواء الطلق) كانت في الحقيقة استثنائية، مغموسة بالإيروسية، وترجع إلى سلوكيات منحرفة. يدعم ديور الأطروحة القائلة بأن الحياء، ولو تنوعت تبدياته، هو شعور كوني، وما من مجتمع مهما كان مستواه من البربرية لا يمتنع عن وضع قواعد للعري...

وإن وضع قواعد لاستخدامات الجسد (التغوط، والضراط، والتجشؤ، والبصاق، إلخ) لم يكن أبدا غائبا عن وعي الشعوب : فقبل نهاية العصر الوسيط، كانت توجد نصوص يهودية وعربية وألمانية وإنكليزية تتناول الاستخدام المناسب للتغوط (بعيدا عن نظر وسمع الآخرين، ومن المفضل ليلا بعيدا عن الأعين).إن عادة أصحاب السمو، وهم يستقبلون حاشيتهم جالسين على كرسي بيت الخلاء، والتي أقرها لويس الحادي عشر، ستكون اختراعا حديثا وتعبيرا عن التراتبية المتزايدة في العلاقات الاجتماعية. بالطبع لم يكن من المقبول أبدا بالنسبة للتابع أن يستقبل من هو أعلى منه بالطريقة ذاتها...

باختصار، شكك ديور ومؤرخون آخرون بشكل واسع أيضا، ليس بوجود تنويعات بمستوى الاحتشام المطلوب بين مجتمع وآخر، بل بأن هذا المستوى

مرتبط، كما في نظرية إلياس، بظهور طبقات الحاشية، وبالتالي ظهور الدولة الحديثة."

ويتبين لنا، مما سبق ذكره، بأن الثقافة عند نوربرت إلياس، تتأسس سيكولوجيا، بالمفهوم الفرويدي، على قمع الغرائز الجنسية أو الشهوانية أو الشبقية، ويعد هذا المعطى قاسما مشتركا بين جميع الحضارات (حمداوي، 2015، صفحة 228).

5.المحاضرة الرابعة البنيوية الجنينية عند بيار بورديو

1.5.التعريف ببيار بورديو: ولد بيار بورديو في عام 1930م في جنوب غرب فرنسا وتوفي في عام 2002م، يعد مفكرا غزير الانتاج الفكري حيث ألّف أكثر من 35 كتابا و400 مقالة.

يعد بيار بورديو مؤلفا مجددا من خلال قدرته على الابداع المفاهيمي حيث طور لغة سوسيولوجية خاصة أصبحت شائعة للغاية في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا، وحددت بعمق التحليل السوسيولوجي، مثل **الابيتوس** (نظام الاستعدادات)، **رأس المال الثقافي، الحقل، العنف الرمزي، والتميز**. وبشكل أعم إن قوة عمل بورديو تكمن دون شك في أنه شيد مخططا نظريا غني وموحد في آن واحد، على اساس تنوع واسع من الأرضيات وبتوليف لكثير من المصادر النظرية؛ كارل ماركس (صلات الهيمنة)، إيميل دوركايم (المنهج السوسيولوجي)، ماكس فيبر (أهمية المعنى الذي يعطيه الفاعلون لفعلهم، مفهوم الشرعية)، غاسطون باشلار (إنشاء الغرض)، تورستن فبلن (الاستهلاك الباذخ)، جون أوستن (وظائف الكلام)، وكذلك نوربرت إلياس وأرفنغ غوفمان وباسيل برشتاين وإيمانويل كانت، وكلود ليفي شتراوس ولودفيغ فيتجنشتاين...، لقد غرف بورديو كيف يمزج هذه التأثيرات المتعددة من أجل إنشاء نظام متماسك يلخصه بنفسه في كتاب التميز بهذه المعادلة: ممارسة= (الهابيتوس)(رأس المال)+الحقل.

هدف **بيار بورديو** هو الكشف عما يتخفى وراء أوهام ومظاهر اللعبة الاجتماعية، ويريد **بيار بورديو** ان تكون السوسيولوجيا هي سوسيولوجيا كشف النقاب، وبتعبيره الخاص "يبيع فتيلة السراج vendre la mèche.

وتشمل أعمال بورديو مجموعة كبيرة من الموضوعات، بدءا من اثنوغرافيا الفلاحين في الجزائر، التحليل السوسيولوجي لفناني وكتاب القرن التاسع عشر، أنماط الزواج في إقليم بير (مسقط رأسه)، الجامعات الحديثة، اللغات، الأذواق الاستهلاكية والثقافية، تحليل الطبقة والسياسة، أسباب البؤس والفقر وسط البحبوحة في المجتمع الفرنسي الحديث...

2.5.علم اجتماع السلطة (الهيمنة) من منظور بورديو: اقترح بورديو علم اجتماع السلطة مع تركيز خاص على كيفية اسهام البعد الرمزي للهيمنة في ابقاء وتطوير التفاوت الاجتماعي، من خلال كشف حقائقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ويتناول علم الاجتماع السلطة الرمزية الذي وضعه بورديو موضوعا مهما هو العلاقات بين الثقافة والبناء الاجتماعي والعمل، وكان التصور المسبق لدى بورديو هو كيف تستمر النظم الاجتماعية للترابية والهيمنة، ويعاد انتاجها عبر الاجيال من دون مقاومة فاعلة، ومن دون المعرفة الواعية لأفرادها؟.

ويمكن تلمس الاجابة عن هذا السؤال من خلال تناول كيف ان الموارد والعمليات والمؤسسات الثقافية تضع الافراد والمجموعات في تراتبيات هيمنة متنافسة، فجميع الرموز والممارسات الثقافية، بدء من التذوق الفني وأسلوب اللبس وعادات الاكل إلى الدين والعلوم والفلسفة وحتى اللغة، تجسد مصالح وتعمل لتعزيز التمايزات الاجتماعية.

كما تعيد نظريته عن السلطة الرمزية صياغة مفهوم العلاقات والجوانب الرمزية والمادية للحياة الاجتماعية من خلال توسيع فكرة المصلحة الاقتصادية لتشمل المجال الثقافي، فهناك مصالح رمزية تماما كالمصالح المادية، وصاغ بالتالي

مفهوم الثقافة بوصفه شكلا من أشكال راس المال (راس المال الثقافي) بقوانينه المحددة للتراكم والتبادل والممارسة.

ويعتبر بورديو أن العمل الحثيث على حدوث تمييز اجتماعي –أيا كانت صوره الرمزية- هو بعد اساسي للحياة الاجتماعية ككل، كما أن الصراعات الطبقية هي صراعات للتصنيف. ومن هنا فإن القضية الاكبر هي علاقات السلطة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات (وبخاصة النظام التعليمي). وفي واقع الأمر يَعتبر بورديو أن السلطة ليست نطاقا دراسيا منفصلا، لكنها تقع في قلب الحياة الاجتماعية. تتطلب الممارسة الناجحة للسلطة تشريعا، لذا اقترح نظرية عن **"العنف الرمزي"** و**"رأس المال الرمزي"** تؤكد الدور النشط الذي تؤديه الاشكال الرمزية بصفتها موارد يشكلانها معا (العنف الرمزي ورأس المال الرمزي)، وتحافظ على بناءات السلطة. وبالنسبة لبورديو ليست المصلحة والثقافة متعارضتين اساسا، لكنهما مترابطتين معا، إذ لا ينفصل السعي لتحقيق المصلحة المادية عن الفهم الثقافي لما قد تكون عليه هذه المصلحة، ولا تخلو الثقافة -حتى في صورتها المجردة والمثالية- تماما من المصلحة الثابتة.

ولهذا تركز اعمال بورديو على كيفية وضع التحول الاجتماعي الثقافي للأفراد والمجموعات داخل تراتبيات وضعية تنافسية، وكيف أن مجالات الصراع المستقلة نسبيا تحصر الافراد والمجموعات في التنازع على الموارد القيمة، وكيف ان مثل هذه النزاعات الاجتماعية يعاد تقسيمها بتصنيفات رمزية، وكيف يتبع الفاعلون استراتيجيات لتحقيق مصالحهم داخل مثل هذه المجالات، ومن ثم لا تخلو الثقافة من محتوى سياسي، لكنها تعبر عنه أيضا.

3.5. قاموس بيار بورديو: يشتهر بيار بورديو بلغة سوسيولوجية خاصة به وله قاموس مصطلحاتي بورديوي نذكر منها مايلي:

أ.راس المال: يرى بورديو أن هناك غير النقود تحتسب في الحياة كرأس المال الثقافي (الشهادات، المعارف، أداب السلوك)، ورأس المال الاجتماعي (شبكة العلاقات) يعتبران في كثير مكن الاحيان أكثر فائدة من رأس المال الاقتصادي.

ب.الحقل: الحقل الجامعي، الحقل الصحفي، الحقل الادبي. هذه العوالم الصغيرة تتوافق مع قطاعات المجتمع. إنها فضاءات هيمنة وصراع. الحقل أيضا هو مجموعة من المتخاصمين. لكل حقل استقلاليته وقواعده الخاصة. يتصرف فيها الفاعلون حسب موقعه .

ج.التميز distinction: أن تكون متميزا هو تثقيف اختلافك، فهو موجود في قلب العبة الاجتماعية، وهو محرك لتصرفاتنا: من ثقافة وتربية وأوقات فراغ ومطبخ ولغة.

د.الهابيتوس Habitus: الطابع الذي يجعلنا نرى العالم ونتصرف داخله، يُترجم الهابيتوس بأساليب الحياة وكذلك بالاحكام (السياسية والاخلاقية والجمالية)، فهو ليس مجمل المعايير فقط، بل أيضا وسيلة للفعل تسمح بخلق وبتطوير استراتيجيات.

ه.العنف الرمزي: يقوم العنف الرمزي بأن يجعل التمثلات المهيمنة (الأراء) تمر إلى ذهن الناس على أنها طبيعية. وقد تطور العنف الرمزي عن طريق المؤسسات ويستند إلى تأثيرات السلطة. ويرى بورديو مثلا أن نقل الثقافة المدرسية (التي تحمل معايير الطبقات المهيمنة) عن طريق المدرسة هو عنف رمزي يمارس ضد الطبقات الشعبية.

6.المحاضرة الخامسة التفاعلية الرمزية عند ارفنغ غوفمان: ترتبط التفاعلية الرمزية عادة بأعمال جورج ميد، مع أن بلومر كان أول من استخدم هذا المصطلح (التفاعلية الرمزية)، وقد تطور اتجاه التفاعلية الرمزية كرد فعل لنظريات البناء الاجتماعي التي كانت تهيمن على علم الاجتماع منذ بدايات القرن العشرين. وتتمحور اهتمامات أصحاب اتجاه التفاعلية الرمزية حول:

-التركيز على التفاعل بين الفاعل والمجتمع.

-التركيز على الفاعل وعلى العالم الاجتماعي بوصفهما عمليات دينامية.

-أهمية تفسيرات الفاعلين لذلك العالم الاجتماعي الذي يتفاعلون معه.

يعتبر **ارفنغ قوفمان** من أبرز علماء الاجتماع وأكثرهم تأثيرا من خلال كتاباته وبحوثه التي خدمت الرؤية التفاعلية، والتي أثرى بها كتابات المفكرين النظريين السابقين، وطور من خلالها منهجا كيفيا متميزا يقوم على استخدام الملاحظة والدراسة الاثنوغرافية، ومن أول اسهاماته في النظرية التفاعلية تطويره للمنظور المسرحي، الذي صور العالم كعرض درامي أو مسرحي، يقوم فيه كل واحد منا على نحو انعكاسي بأداء أدواره المختلفة، وفقا للظروف والملابسات التي يجد نفسه فيها وتبعا للطرف الذي يتفاعل معه. ومن تلك الادوار: الأدوار العائلية كدور الاب والأم والأخ وابن العم أو العمة، وأدوار العمل كدور المعلم والضابط وعامل المصنع وعامل المقهى والطبيب، والأدوار الاجتماعية كدور الصديق والجار والشخص الذي نعرفه معرفة سطحية وذلك الذي نثق فيه ونأتمنه، فكل تلك الأدوار يمكن أن تكون جميعا جوانب لشخصية واحدة. وقد أوضح **غوفمان** مدى تعقيد كيفية "تقديم" أنفسنا للعالم الخارجي من خلال التفاوض، والتحكم في الانطباع، والتحايل على الأمور.

إذن طور **غوفمان** مفهوم المنظور المسرحي في علم الاجتماع، حيث شبه الحياة بالمسرح، ومن ثم اعتبر الذات نتاج التفاعل الدرامي بين الممثل والجمهور. وقد انبثقت دراسته هذه لتفاصيل التفاعل الاجتماعي اليومية أثناء ممارسته عملا صيفيا (أثناء إعداد رسالته للدكتوراه) كعامل في فندق. حيث لاحظ خلال تلك الفترة المعاني الثقافية المعقدة الكامنة وراء أفعالنا وتفاعلنا مع الآخرين. من ذلك ما لاحظه من صور التوتر بين السكان المحليين وزوار المدينة والتي تبدت في طرق التواصل المكتومة أو المختلسة من الفروق الدقيقة في المعاني، والإيماءات، والتحكم في نبرة الصوت، والتصرفات، والتي يبديها أهل مدينة (شيتلاند) عندما يريدون تعمد الألغاز أو التعمية في وجود زوار المدينة الغرباء. وقد عرض غوفمان جانبا كبيرا من تجربته في شيتلاند في كتابه "تصور الذات في الحياة اليومية".

1.6.تعريف بارفنغ غوفمان:ولد بتاريخ:11جوان1922 من عائلة يهودية،هو أحد أشهر أنصار مصطلح "علم الاجتماع الجزئي أو الصغير" وهو المصطلح الذي استخدمه لوصف اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي وتأثيره في الذات. وينظر إليه دوما على أنه شخصية رئيسة لتقاليد التفاعلية الرمزية، بالرغم من أنه يفضل أن يفكر في نفسه على أنه مجرد مراقب للحياة اليومية: اثنوغرافي بالحضر أو متخصص في القيم الانسانية. حظيت أعماله بقبول جماهير تجاوز علم الاجتماع، نظرا إلى أسلوب كتابته الفريد الذي تصحبه وجهات نظر تنظيرية دقيقة وتشوبه روح الدعابة. يقوم **غوفمان** بتوظيف تصوير الحياة الاجتماعية على أنها مسرح. نشر **غوفمان** في البداية دراسة بخصوص الطبقة والوضع الاجتماعي، لكنه انتقل سريعا إلى مزيد من التحليل التفاعلي للإجراءات التي يستخدمها الناس في التعامل مع فقدان الدور الاجتماعي. نشر كتابه لأول مرة بعنوان presentation of self in everyday life صورة الذات في الحياة اليومية، عام 1959 . الذي أرسى سمعة **غوفمان** بوصفه عالما اجتماعيا دراميا. ومقولته الاساسية هي أن

الحياة الاجتماعية تتم من خلال أعمال وطقوس وعادات روتينية يومية تشبه الآداء المسرحي. إذ عندما يتقابل الناس في المواقف الاجتماعية، فإنهم يتعاونون مثل فرق الممثلين للبقاء على استمرار العرض ودعم تعريف معين للحقيقة.وفي الوقت نفسه يكون الأفراد مهتمين بتقديم شخصيات معينة أو نسخا من أنفسهم أمام الجمهور الذي يواجهونه، وهو الأمر الذي يرتبط بفنيات تمثيل الذات self-presetation وإدارة الانطباع. غير أن نجاح عمليات الآداء هذه يعتمد أيضا على تصورات الجمهور. ورأى غوفمان أنه من الضروري دراسة انطباعات الناس التي تظهر عليهم بشكل غير مقصود، وليس فقط تلك الانطباعات التي تظهر بشكل مقصود.

إن المحيط الذي يؤدي فيه الفرد والفريق مهم للغاية، ورأى **غوفمان** أن هذا المحيط ينقسم إلى جزأين رئيسين، يرتبطان بمجالات المسرح، فهناك الخشبة الأمامية حيث نقدم هواياتنا العامة للجمهور ونؤدي أدوار محددة. ومن جهة أخرى فإن منطقة الخشبة الخلفية هي المكان الذي يرتاح فيه الممثلون بعيدا عن الدور، وربما يناقضون هوياتهم العامة، وقد شبه ذلك بحجرات المنزل، حيث تخدم غرفة الجلوس والطعام كمناطق خشبة أمامية ندعو فيها الضيوف، بينما تظل غرفة النوم والحمام أكثر خصوصية، وهي مناطق الخشبة الخلفية التي يمكن لأفراد الأسرة أن يكونوا هم أنفسهم ويلبوا الاحتياجات الجسمانية. واشار **غوفمان** إلى الارتباك الذي يحدث إذا أزيلت الحدود بين هاتين المنطقتين، مثل أن يقوم شخص بدخول غرفة النوم من دون أن يطرق الباب (سكوت، 2009، صفحة 254).

2.6.العالم كمسرح: التواصل هو التيمة الثابتة في اعمال غوفمان، فقد حلل التفاعلات الاجتماعية وطقوس اللياقة والمحادثات، وكل ما يشكل شبكة العلاقات اليومية وفي نظر إلى التفاعل كمنظومة تتاسس عن طريقها الثقافة، تمتلك هذه

المنظومة معايير واليات للتنظيم. تلكم مثلا هي حالة " وجوب الالتزام" وهي القاعدة الاجتماعية التي تنص على أن كل شخص داخل في نقاش مع أخر يجب ان يبدي التزاما كافيا في هذا النشاط: "النقاش بصفته بؤرة انتباه رئيسية، يمتلك صفة فريدة، لأنه يخلق بالنسبة لمن يشاركون فيه عالما وواقعا يشارك فيهما الاخرون أيضا".

إن طقوس التفاعل هي مقدار من المناسبات لتأكيد النظام الاخلاقي والاجتماعي. ففي اللقاء يسعى كل فاعل إلى تقديم صورة قيمة عن نفسه، هي الوجه أو القيمة الاجتماعية الايجابية التي يدعيها الشخص عمليا من خلال توجه الفعل الذي يفترض الاخرون أنه تبناه في سياق لقاء خاص. أحد الرهانات الرئيسية للتفاعل هو "تقديم صورة جيدة". (أن لا تريق ماء وجهك). وفي سبيل ذلك من المناسب أن يتعاون الجميع في نمط من التوافق السطحي، وتبعا لأسلوب في السلوك المضمر .

أما في كتاب **"تقديم الذات في الحياة اليومية presentation of Self in Everyday Life"** (1959) فهو أفضل عمل قام به غوفمان(1922-1982)، والكثير من المقالات كشكل مختلف من اشكال التفاعلية الرمزية (ستيبنسكي ج.، النظريات الحديثة في علم الاجتماع، 2021، صفحة 156)؛ وفيه يقارن العالم بعرض مسرحي يلعب فيه الافراد أدوار الممثلين، وتلعب العلاقات الاجتماعية دور التمثلات الخاضعة لقواعد دقيقة، أحد الاسئلة الرئيسية التي تفرض نفسها على الممثل في الحياة كمسرح هو أن يخلق لدى الاخرين **انطباعا بالواقعية** من أجل الاقناع بالصورة التي يرغب في تقديمها عن نفسه، وفي سبيل ذلك عليه أن يكيف حضوره (مظهره الشخصي) مع دوره وأن يحول هذا الدور إلى دراما، أي أن يدمج في نشاطه علامات ستضفي بريقا وبهاء على بعض تصرفاته (على غرار الحكم الذي يتخذ قراره بسرعة كبيرة دوما كي يبدوا معصوما).

يقسم غوفمان الحيزات الاجتماعية إلى عدة مناطق (المناطق الداخلية) العرض وهي التي تدور فيها المشاهد التمثيلية، يتواجه فيها الممثلون (الاعلون) مع الجمهور، وعليهم أن يتمسكوا فيها بأدوارهم الاجتماعية. ثم المناطق الخلفية أو (الكواليس) المغلقة أمام الجمهور، وفيها يستطيع الممثل أن يسترخي دون مراقبة أو أن يستعد لعرضه القادم. وبذات الطريقة التي يرتب بها "المناطق" فإن غوفمان يضع جردة بالأدوار التي يمكن أن نقوم بها وهي الادوار **الصريحة** وكذلك ادوار اخرى أكثر دقة يسميها **متناقضة** (مزدوجة) كالزوجة التي تتجاوب مع زوجها عندما يروي في السهرة قصة طريفة معها عشرات المرات أو **المهمل** مثل سائق التاكسي الذي لا يمنع حضوره المراة من أن تصلح مكياجها داخل السيارة.

استخدم غوفمان تقنية الملاحظة بالمشاركة (وهي تقنية ينغمس عن طريقها الباحث في ثقافة ما بغية فهم تجربتها المعيسة وقواعدها الداخلية) التي كانت وراء كتابه **"المصحات النفسية"** . فقد عاش في مشفى سانت اليزابيت في واشنطون، واختلط بالمرضى وأمضى حياة شخص معزول. تعامل مع المشفى النفسي كمؤسسة اجتماعية متخصصة في **حراسة** الناس، دون التطرق بشكل خاص إلى خصوصية المرض العقلي، فهو يصف بدقة الحياة اليومية اليومية للمعزولين (المعالجين والمعالَجين)، إنما من خلال سعيه لفهم تماسك التصرفات بدءا من الضغوطات التنظيمية، تبنى من أجل ذلك وجهة نظر المحتجزين، وهكذا فقد أظهر أن التصرفات التي يمكن أن تخضع لعدة قراءات: قراءة **خارجية**، طبية ونفسية تفسر تصرف المرضى كأعراض لعدم التكيف مع المجتمع ومع الحياة الطبيعية. وقراءة **داخلية** تظهر أن هذه التصرفات ذاتها تنجم من تكيف عقلاني تماما مع سياق الاشتشفاء وضغوطاته وفي الواقع يتبنى غوفمان اتجاه المرضى العقليين النظرة التي ينظر بها الثنولوجي إلى قبيلة بعيدة،

من خلال ابتعاده عن الاحكام المألوفة ومن خلال تمسكه باستبطان قيمها ومنطقها. هذه النظرة الاثنولوجية[2] موجودة في كافة اعملا غوفمان.

7. المحاضرة الخامسة: لوكمان توماس وبيتر بيرغر: البناء الاجتماعي للواقع.

إن التفاعلية الرمزية هي أقدم التقاليد النظرية القائمة في علم الاجتماع المهتمة بدراسة التفاعلات الاجتماعية اليومية، تتخذ من الفعل الاجتماعي نقطة انطلاقها، لكن ظهرت في أواخر الستينات نظريات أخرى بديلة مهتمة بعملية التفاعل الاجتماعي، وتختلف في كثير من الجوانب عن النظرية التفاعلية الرمزية، وقد برزت عدة منظورات ومنها علم الاجتماع الظاهراتي وعلم الاجتماع الحياة اليومية، وأصبحت منظوراتها هي المتداولة حاليا. وتركز نشاطها ضمن اتجاه عام يسعى للابتعاد عن أي نظرة ترى المجتمع كيانا قائما بذاته مستقلا عن أفراده المكونين له، والتركيز بدلا عن ذلك على الأساليب التي يخلق بواسطتها البشر عالمهم الاجتماعي، وهو الاتجاه الذي يمثل ردة فعل على التغاضي عن رؤية الجوانب **المعتمة** من الحياة اليومية (كريت، 1999، الصفحات 134-135).

الأطروحات النظرية لنظرية **التشكيل الاجتماعي للواقع** التي طرحها **بيتر برغر وتوماس لوكمان** هي وصف معدل عن النظرية الفينومينولوجية، من خلال وضع إطار فكري متكامل ضمن ربط النظرية الفينومينولوجية بمستويات التحليل السوسيولوجي الجزئي والكلي. التي تعكس أنماط متكاملة من السلوك، وتبرز قضايا الحياة اليومية. لذلك قد يبدوا ملحا الاعراج نحو أهم القضايا النظرية الأساسية التي عالجتها النظرية الفينومينولوجية والمطبات التي وقعت فيها التي كانت نقطة انطلاق نظرية التشكيل الاجتماعي للواقع **لبيتر برغر وتوماس لوكمان**.

1.7. التصورات النظرية الأساسية للنظرية الفينومينولوجية: تعتبر النظرية الظاهراتية phenomenology أحد المنظورات الأساسية في التحليل السوسيولوجي الجزئي أو قصير المدى Micro sociological Analisis ، حيث تركز أطروحاتها الأساسية على بناء الخبرة والوعي كوسيلة لاستخلاص ما نلاحظه في الواقع، وفهم لجوهر الأشياء وتحليلها، من خلال دراسة السلوك الإنساني وتحليل المعاني وأنماط المعرفة، ودراسة علاقات التفاعل ونوعية المواقف والذات والآخرين، وقدراتهم الشخصية التي تنطبع من ذاتهم الخاصة حول حقائق الأمور والظواهر الاجتماعية المعرفية، وربطها بصورة ذهنية وعقلية ملموسة وبمختلف عمليات الإدراك والشعور، والاعتماد على الأشكال المختلفة للخبرة الذاتية في الحياة اليومية وتحليلها. وقد استخدم علماء الاجتماع هذه الحجة (مهمة الفلسفة الظاهراتية هي **إعادة الصلة بين المعرفة العلمية وخبرة الحياة اليومية ونشاطها التي أصبحت منفصلة عنها) ضد النظرية الاجتماعية التقليدية وبخاصة النظرية البنائية الوظيفية من حيث أن هذه الأخيرة أصبحت منفصلة عن نبض الحياة اليومية.**

يعتبر ادموند هوسرل Edmund Hussrel أكثر فلاسفة الظاهرتية إسهاما في تطوير المنهج الظاهراتي، الذي يرى أن حقيقة الواقع يظهر في الوعي والتأملات والتصورات المرتبطة بذات الإنسان، التي يتحملها ويشكلها للواقع الاجتماعي، بواسطة الحواس كحقيقة عقلية ممثلة بالوعي، ضمن نظرية في الحدس التي اقامها على أنقاض أبنية نظرية الادراك الحسي التقليدية، التي قدمها **ديفيد هيوم، وجون لوك**، ليتم من خلال هذه الابنية النظرية المنطقية استدخال العالم في الذات واستخراج الذات من العالم، هذه الفكرة التي طورها فيما بعد **بيرغر** إلى أبنية محورية في سوسيولوجية المعرفة.

إذ يظهر الفعل الإنساني في سياق معاني الفاعلين ووعيهم الذاتي، بدلا من كونه محصلة مؤثرات خارجية، من خلال إعادة الصلة بين المعرفة العلمية والحياة اليومية كبديل يطرح ضد الوظيفية التي انفصلت عن نبض الحياة اليومية. مؤكدا أن المعرفة العلمية أصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية ونشاطها، وهي المكان الذي تصدر منه تلك المعرفة أصلا، وذلك من خلال تصنيف الخبرات الشخصية للفاعلين، وتأويلها من أجل فهم فكرة رصيد المعاني المشتركة للواقع التي يستخدمها جماعة ما لوصف الظواهر المشابهة، بدرجة تكفي لوضعها في نفس المجموعة الوصفية. مركزا بذلك على بناء الوعي الذي يتحول من ذاتي إلى جماعي بالتفاعل، بقصد كشف جوهر الواقع بناء على عملية تأويل تشكل المعرفة به. لأنه بحسب **هوسرل** ليس حقيقة واقعية مستقلة عما يحمله الإنسان لهذا الواقع من معاني تمثل الوعي العقلي به، والذي يتشكل في إطار الخبرات الإنسانية، بمعنى أن العالم الخارجي لا معنى له إلا من خلال وعينا به باعتباره كوّن من خلال الوعي لا غير.

ولقد قام **ألفرد شوتز** A.Schutz بطرح المنطق المعرفي للظاهراتية، باستخدامه تعبير المعاني المحدودة ليؤكد بأن الناس هم الذين يعطون من خلال (**ذاتية مشتركة** Intersubjectivity) معنى حقيقي للأشياء، هذه المعاني التي تنبع من تجاربهم وليس علم وجود الأشياء هو الذي يكون الحقيقة، ومن ثم فإن هذا المصطلح يعبر عن طريقة وصف جريان الحياة اليومية للإنسان، ضمن مختلف التجارب ذات المعنى، وليس لموضوع مادي يشارك الأفراد في صناعته، وفي ضوء ما يعرفونه من خلال الحس البديهي الذي يشكل لدى الأفراد مسبقا حول جميع الموضوعات التي يخبرونها، بدليل أن الفرد يسمع صوت الآخر ككلمات تحمل معاني ذات دلالات تفضي إلى الفهم وليس كصوت مجرد خارجي.

وبهذا يصبح بإمكان الفعل والفعل الاجتماعي أن يحدد الوعي، حيث ينصب اجتماعيا على أفعال الوعي وليس على الفعل عن العالم، والعالم الاجتماعي هو شيء نخلقه سويا بفعل تشييد ما يسميه **شوتز "سياقات المعنى"**، التي تمثل مجموعة المعايير التي تنظم بواسطتها مدركاتنا الحسية، وتحولها من عالم ذات إلى ذخيرة من المعرفة، وهي ليست ذخيرة من المعرفة عن العالم بقدر ما هي العالم ذاته، إنها معرفة مسلم بها نكتسبها بالفطرة (السليقة)، وكل واحد منا ينظم هذه المعرفة على أساس ما هو قائم هنا الآن، أي على أساس ما يفعله بزمان ومكان معينين، لترتيب الحياة الاجتماعية بطريقة موضوعية، تضمن جانب كيفية التخطيط وتحقيق الهدف، إلى جانب الاختيار الذي يجلب للفرد درجة أكبر من الإشباع والمنفعة، ليتضح في هذا الطرح استدماج شكل من أشكال نظرية الاختيار العقلاني.

ومن هذا الطرح تتاح فرصة النظر بصورة واقعية للفينومينولوجية التي حاولت أن تعيد الصلة بين المعرفة العلمية وخبرة الحياة اليومية ونشاطها متجاهلة علاقات القوة وما تحدثه من أثر في سياقات المعنى، حيث يبتعد **شوتز** عن خيارات الخضوع والإذلال والظلم و القهر والاستبعاد الذي يمكن أن ينشأ عن القوة، وإذا نظمنا معرفتنا الحياتية انطلاقا من مشروعنا على حد تعبير **شوتز**، فإن التساؤل المركزي الذي ينبغي أن يطرح هنا: ما هو مشروع أولئك الذين يعانون من جميع مظاهر الإجحاف الإنساني؟.

لذلك فإن النظرية الفينومينولوجية بصورتها الراهنة لا يمكنها أن تستوعب مظاهر احباطات الناس وأشكال الحرمان الذي يتعرضون له داخل المجتمع، الأمر الذي يتطلب عملية تجسير نظرية الفينومينولوجية لتشمل قضايا بعيدة المدى تعكس تكامل الفعل والبناء.

2.7. بيتر بيرغر وتوماس لوكمان البناء الاجتماعي والواقع (التشكيل الاجتماعي للواقع) أو الفينومينولوجية المعدلة The Social Construction of Reality : تطورت النظرية الفينومينولوجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين لتأخذ أبعاد جديدة مغايرة، وتقدم تصنيفات متطورة للمسلمات والقضايا الأساسية، التي تقوم عليها الفينومينولوجية كنظرية معاصرة، ضمن إسهامات بيتر بيرغر Peter Berger ولوكمان توماس T.Luckman في المؤلف المشترك بعنوان: التشكيل الاجتماعي للواقع The social construction of reality سنة 1967. الكتاب يحاول صراحة الجمع بين التحليلين الكلي والفردي، ومازال بيرجر ولوكمان يريان أن الحياة الاجتماعية تقوم على المعاني المسلم بها والمستمدة من السليقة (الفطرة)، إلا أن اهتمامهما منصب أكثر على المعاني العليا الظاهرة التي تشترك فيها الجماعة والتي تتطور من المعاني المستمدة من السليقة (الفطرة). ويذهبان إلى القول بأن البشر يمتلكون عددا محدودا من الغرائز المعينة والمستقرة؛ لذا فإن استقرار الحياة الاجتماعية لا يعود إلى تلك الغرائز، وإنما هو ناتج عن البيئة الاجتماعية التي يخلقها هؤلاء البشر بأنفسهم، وفي هذه البيئة الاجتماعية تمثل القيم والمعاني العليا، وهي أساسا قيم ومعان دينية يتقاسمها الجميع، واهتمام بيرغر ولوكمان هو في بيان السبل التي تتطور بها هذه المعاني "وتتجسد" في المؤسسات الاجتماعية، والتي تجري تنشئة أعضاء المجتمع الجدد بناء عليها.

إجمالا هذا الموقف يضعنا مع منظور مشابه للوظيفية البنائية، فالأفكار والقيم الثقافية والمعايير ينظر إليها على أنها بؤرة التنظيم الاجتماعي الذي تجري تنشئة أعضاء المجتمع الجدد فيه. إلا أن بيرغر ولوكمان انفقا وقتا طويلا وهما يتحدثان عن تطور تلك القيم نتيجة للتفاعل الاجتماعي للأفراد.

رغم أن الصورة النهائية للتنظيم الاجتماعي واحدة بين المنظورين، والفرق الأساسي هو أن البنائية الوظيفية لديها الكثير عما تتحدث عنه بخصوص التنظيمات المؤسسية، في حين أن هذه المسألة تميل لأن تكون ثانوية بالنسبة لبيرغر ولوكمان.

وبالتالي من السهولة وضع هذا المنظور في إطار الوظيفية البنائية باعتباره أحد تفريعاتها التي تهتم بالنسق الثقافي، وهو ما يعتبره بارسونز واحد من أربعة أنساق ، بل أهمها. ولذا فإن بيرغر يعتبر عالم اجتماع معرفة وليس منظرا للمجتمع.

يستمد أهميته من تحليل فكرة التشكيل الاجتماعي للواقع، ويجعل هذه الفكرة بمثابة إطار مرجعي لدراسة البناءات الاجتماعية، وفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية ومجموعة الأفعال والأدوار والسلوكيات التي توجد بين الأفراد وفي المجتمعات الحديثة.

حيث يعمل بيرغر ولوكمان على توضيح الصورة حول عملية التشكيل الاجتماعي، واعتبارها كعملية ديالكتيكية مستمرة بين الأفراد لإيجادها عن طريق أفعالهم وتفاعلاتهم، وخلق واقع مشترك يتكون من خبرتهم عن الحقائق الموضوعية أو الواقع الموضوعي، الذي يرتبط بالنظام الاجتماعي أو العالم النظامي الذي يعتبر نتاجا للإنسانية، إلى جانب المعاني الذاتية أو الواقع الذاتي الذي ينعكس من خلال المعنى الداخلي الذي يدركه الأفراد، وهذا ما أشار إليه بيرغر ضمن مناقشته لأفكار متعددة ترتبط بالواقع سواء أكان ذاتيا أو موضوعيا، وكيفية تكوين أو ظهور هذا الواقع بحسب أنماط معينة من المواقف والعمليات الاجتماعية، كما تعتبر أنماط الواقع مطلبا أساسيا لاستمرارية النظام ككل.

الأمر الذي يتطلب البحث في الطريقة التي يتشكل بها الواقع، من أجل المزيد من الفهم الحقيقي والكافي للواقع ككيان مستقل عن المجتمع، أو بعبارة أخرى كيف تصبح المعاني الذاتية إدراكا موضوعيا للحقيقة؟.وفي هذا الشأن يرى بيرغر أن تشييد العالم الاجتماعي يمر عبر ثلاث مراحل أساسية في العملية الديالكتيكية وهي: التشيء : والذي يعني أن الأفراد يخلقون المجتمع ويبتدعونه. والموضعة: وتعني بأن المجتمع يشمل واقعا موضوعيا له نتائج بالنسبة للفرد، لأنه يعود بالتأثير على مبتدعه، والاستدماج: ويمثل نوعا من التنشئة الاجتماعية التي يتم بواسطتها ضمان شرعية النظام المؤسسي، الذي يضمن وجود استمرارية عملية التشكيل الاجتماعي، حيث يظهر هذا النوع من التنشئة الاجتماعية عن طريق وجود درجة عالية من التساوق بين الواقع الموضوعي والذاتي، وبين الهوية الموضوعية و الذاتية، موازية بذلك عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة لبارسونز، والتي يقوم فيها الأفراد بالاستدماج، أي يجعلوا خاصتهم الواقع الاجتماعي المموضع، مع نتيجة أن كل واحد تقريبا يمثل ما كان يسعى أن يكون عليه.

واخيرا توضح نظرية التشكيل الاجتماعي للواقع، أنه يعني انخراط الأفراد في الاستدماج، إذ يتكيفون مع توقعات المؤسسات الاجتماعية الموجودة، ويعيدون ابتداع وضع المؤسسة الاجتماعية في مرحلة التشيء، وما أن تتشيأ فإنها تصبح مموضعة، وما أن تتموضع فإنها تعود بالتأثير على الفرد باعتباره كيانا مستدمجا، حيث يوضح بيرغر ولوكمان بأن المجتمع نتاج إنساني (التشيء)، والمجتمع واقع موضوعي (الموضعة)، والإنسان نتاج اجتماعي (الاستدماج).

إن هذه المراحل أو العمليات الغنية معرفيا تجمع بين مزايا الدراسات السوسيولوجية الصغرى والكبرى، لاسيما النظرية الوظيفية، الأمر الذي يظهر في محاولة تركيز كل منها على القيم والأفكار والمعرفة والمعايير، باعتبارها العناصر الأساسية التي تشكل طبيعة النظام الاجتماعي، كما أنها تسهم في عملية

التنشئة المستمرة للأعضاء أو الأفراد الحاليين الجدد، ولكن دون استثمارها في فهم وتفسير علاقات القوة وبناءاتها، وما يمكن أن تموضعه هذه القوة وتجعله رائجا للاستدماج، وإذا ما تم التركيز على مؤسسات القوة واحتواء دراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة، التي تفاقمت خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، فإن الفجوة تصبح أكثر وضوحا، حيث هناك عمليات إجبار وانتقاء ومعايير مشوهة يجري استدماجها (طويل، 2014، صفحة 18).

8.المحاضرة السادسة: انطوني جيدنز نظرية الانعكاسية الاجتماعية:

تزودنا منهجية النظام الاجتماعي أو البناء الاجتماعي بموضوع ما بات يعرف بـ: "التحول اللغوي" في الفلسفة الحديثة؛ أي بظاهرة تزايد الاهتمام بطبيعة اللغة على أنها تفتح لنا مغاليق العالم بشكل من الأشكال. وقد ركزت الفلسفة البريطانية والفلسفة الاوروبية بأشكال مختلفة على اللغة، وقد تسرب هذا الاهتمام إلى علم الاجتماع. أساسا عن طريق منهجية النظام الاجتماعي ونظرية التشكيل الاجتماعي عند جيدنز، ولكن أيضا على شكل ما بعد البنيوية.

انطلق **انطوني جيدنز** من ملاحظة أن النظرية الفينومينولوجية تواجه معضلة كبيرة، أو قصور كبير، من منطلق أن عملية إنتاج عالم اجتماعي منظم وقابل للتفسير، لا يمكن أن تُفهم ببساطة، بوصفها عملا تعاونيا ينفذ بواسطة أنداد، وذلك لأن المعاني ذات الأهمية هي تلك المعاني التي تنطوي على عدم التماثل في القوة.

وبالفعل فإن الحقيقة الواضحة في الطرح السوسيولوجي للنظرية الفينومينولوجية، يبين أن ثمة خط جدل مفقود، حيث اقتصر الطرح الكلاسيكي على اعادة الصلة بين المعرفة العلمية وخبرة الحياة اليومية ونشاطها، ليحاول الاتجاه المعدل فيما بعد للظاهرتية الجمع بين التحليلين الكلي والجزئي، ويبين السبل التي تتطور بها المعاني العليا للظاهرة، وتشترك فيها الجماعة للتنظيم

الاجتماعي، والتي يجري تنشئة أعضاء المجتمع الجدد بناء عليها، متجاهلة علاقات القوة في الحياة الاجتماعية وما تنطوي عليه من تأثيرات في سياقات المعنى.

إن استدماج النظرية الفينومينولوجية لعلاقات القوة، ستكون موجها رئيسيا لنظرية ظاهراتية معاصرة، قادرة على تفسير وتحليل أنساق البنى والقوى الاجتماعية، وتوضيح عمليات إجبار وانتقاء معايير مشوهة يجري استدماجها، بالإضافة إلى ما يمكن أن تلقيه علاقات القوة في تشكيل الخبرة المعاشة لفئات اجتماعية عريضة داخل المجتمع.

التشكل البنائي: ظهر مفهوم التشكل البنائي من داخل الخلاف التقليدي في علم الاجتماع بين البناء والفعل*، ثم تزايد اهتمام علماء الاجتماع بتطوير طرق لاستيعاب هذا التناقض الظاهر في إطار تحليل متماسك للبناء الاجتماعي. فالتشكل البنائي هو دعوى تتمحور حول ما إذا كان باستطاعتنا أن نفكر في المجتمع في ضوء العلاقة بين الفعل والبناء الاجتماعي أم لا، كما أنه يقدم نموذجا لتحليل المجتمع في ضوء هذه العلاقة.

فمفهوم التشكل البنائي مجرد محاولة من سلسلة محاولات لحل الخلاف بين البناء والفعل، ويعد هذا المفهوم (التشكل البنائي) هو أقوى المفاهيم تأثيرا في علم الاجتماع، كما أن الذي طوره هو عالم الاجتماع البريطاني **أنطوني جيدنز. Anthony Giddens .**

يومئ مفهوم التشكل البنائي عند جيدنز (1984) إلى نوع من رفض مزاعم البنيوية وما بعد البنيوية وذلك على نحو ما يوضح "نيو New" فيقول: "ظل جيدنز في مناهضة البنيوية وما بعد البنيوية مصرا –بصورة ثابتة- على أن المجتمعات إنما تتكون من الفاعلين القادرين على تحصيل المعرفة، والذين تكون

---

*.

مراعاتهم للقواعد الاجتماعية فعلا وليست مجرد رد فعل". وتؤكد نظريته في التشكل الاجتماعي على أنه في الوقت الذي يكون فيه المجتمع خارجيا بالنسبة للأفراد –الذين قام المجتمع بتشكيلهم- فإن إبداعهم الذي يتم من خلال أفعالهم هو الذي يعيد إنتاج هذا المجتمع وهي الأفعال التي تغيره كذلك.

وبهذا تعترف نظرية التشكل الاجتماعي بالتفاعل بين الأفراد والأبنية في تشكيل العالم الاجتماعي أو الحياة الاجتماعية، ولا يقتصر **جيدنز** على رفض نظريات البناء الاجتماعي بسبب أنها تفسيرات أحادية للمجتمع، بل يرفض كذلك الاعتماد على نظريات الفعل وحدها. ويرجع سبب ذلك عند **جيدنز** إلى أن أفعالنا تتأثر بالسمات البنائية للمجتمعات، إلا أننا في نفس الوقت نقوم بإعادة خلق السمات البنائية، ونقوم احيانا بتغييرها وتبديلها عن طريق أفعالنا.

ولتوضيح ذلك يعطي جيدنز مثالا: تمثل اللغة الانجليزية بناء، بوصفها مجموعة من القواعد المتعلقة بطريقة التواصل، والتي تبدو مستقلة عن أي فرد، ولا يمكن تغيير قواعد الانجليزية النحوية ولا معجمها ببساطة عندما يريد أعضاء المجتمع ذلك، ومع ذلك فإن قدّر لتلك اللغة أن يعاد إنتاجها، وإن قدّر لها أن تبقى، فلا بد أن يتحدث بها الأفراد أو يكتبون بها بالطرق التي تتبع قواعدها الراهنة. ومن ثم يقول جيدنز: "عندما أطق بجملة أنجليزية منطبقة على قواعد اللغة، فإنني بذلك أساهم في إعادة إنتاج اللغة الأنجليزية ككل، وتعتمد بنية اللغة أساسا على القواعد التي يضعها الافراد الذين يستعملون هذه اللغة. وغالب الأمر أن المتحدثين المختلفين باللغة الانجليزية سوف يتبعون قواعد الأنجليزية وسوف تتحق إعادة الانتاج. ومع ذلك، فإن ذلك ليس بالأمر الحتمي الذي لا مفر منه. فاللغات تتغير، والكلمات الجديدة تخترع ويتم قبولها عن طريق استعمالها، وتنسى بعض الكلمات القديمة وتسقط في ركن الاهمال. وبهذا الشكل يستطيع الفاعلون البشريون –وعن طريق أفعالهم- أن يغيروا الأبنية الاجتماعية وأن ينتجوها كذلك".

يستكشف تحليل **جيدنز** للنظام الاجتماعي كلا من البنية والفعل، ويبين بالتفصيل كيف أن العلاقة القائمة بينهما هي التي تشكل النظام الاجتماعي. وعند إمعانه النظر في مسألة البنية والفعل، يلقي **جيدنز** الضوء على فكرتين محوريتين مهمتين:

1.إلى أي مدى يستطيع مدى يستطيع كل من البنية والفعل أن يسهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي.

2. إلى أي مدى يستطيع كل منهما الإسهام في التغيير أو التحول الاجتماعي.

كما يدخل في حسبانه ما لتحليله هذا من دلالات تتعلق بالخلاف بين حرية الإرادة والجبرية.

يبدأ **جيدنز** بالتصور الذهني للبناء الاجتماعي ويرسم الخطوط الرئيسية للطريقة التي يحافظ بها على النظام الاجتماعي ويغيره.ويميز **جيدنز** في تحليله للبناء الاجتماعي ملمحين أساسيين له هما: "القواعد" و"الموارد". ويستعمل في ذلك مصطلح القواعد للإشارة إلى الإجراءات والأساليب الروتينية التي تشكل أساس التفاعل اليومي. ومع ذلك يرى **جيدنز** أن مثل القواعد ليست ثابتة وإنما هي دينامية –أي أنها عرضة للمراجعة من خلال الأنماط الجديدة من التفاعل- والقواعد إما أن يكون بالإمكان إعادة إنتاجها (أي الحفاظ عليها) أو تغييرها (أي تحويل شكلها)، وذلك اعتمادا على ما إذا كانت أنماط التفاعل هذه تظل باقية على حالها أم تتغير.

ولإعطاء مثال على ذلك نقول: في خمسينيات وستينيات القرن العشرين لم يكن من الضروري على من يسافر راكبا في عربته أن يستعمل حزام الأمان، ومن ثم كان يتم إعادة إنتاج "القواعد" التي يتضمنها السفر بالسيارات من عقد إلى العقد الذي يليه. إلا أنه حدث في الستينيات وبسبب وعي الجمهور الزائد بخطر حوادث

الطرق، أن أصبح استعمال حزام الأمان إلزاميا بحكم القانون. لهذا السبب تم تغيير قواعد السفر بالعربات لأن "استعمال حزام الأمان" أصبح لهذه العملية.

وليس مكن الضروري تمثيل القواعد في صورة قانون. ففي وقت مضى كان من المعتاد أن يتنازل الشبان عن مقاعدهم بالحافلات لكبار السن. غير أنه حدث في السنوات الأخيرة أن تسببت الاتجاهات المتغيرة في تأكل هذه الممارسة، بحيث أصبح هذا السلوك في أيامنا هذه هو الاستثناء وليس القاعدة. ذلك أنه حدث نوع من "التحول" (التغير الواسع المدى).فلم يعد الحق في مقعد بوسائل النقل العامة محددا وفقا للسن أو لاحترام السلطة. ولكن بدلا من ذلك تقضي القاعدة –في وقتنا الحاضر- بأنَّ شغل المقعد يعد نوعا من الحيازة –على الأقل في أثناء فترة رحلة الحافلة.

أما العنصر الأساسي الثاني عند **جيدنز** وهو "الموارد" فمن الممكن كذلك إعادة إنتاجه أو تغييره عن طريق الفعل الإنساني. والموارد هي الوسائل التي بها يتم تعريف البنية المادية والبنية الاجتماعية للمجتمع. ويتم تحويل الجوانب المادية للمجتمع عن طريق الفعل الإنساني إلى موارد. مثال ذلك أن الأرض تصبح موردا من خلال زراعتها، وتصبح العلاقات الاجتماعية بمثابة مورد عندما يستخدمها الأفراد لفرض السيطرة على الآخرين، ذلك أن السلطة لا تصبح موردا إلا عندما يمارس شخص ما نفوذه على شخص آخر.

وفي تحليله للفعل الاجتماعي أو ما يسميه التأثير، يستعمل **جيدنز** مفهوم ثنائية البناء ليعكس الطريقة التي يؤثر بها الأفراد في الأبنية ويتأثرون بها. وهو يذهب إلى أن بوسع الأفراد أن يساعدوا في إعادة إنتاج الابنية وفي تغييرها من خلال افعالهم. فهم يعيدون إنتاج المجتمع عندما يتصرفون روتينيا بطرق يرسمها المجتمع –أي بإعمال القواعد البنائية. وهم كذلك يعيدون إنتاج المجتمع عندما ينتفعون بموارد المجتمع بالطرق المتوقعة منهم.

ومع ذلك فإن لديهم القدرة أيضا على التدخل في المجتمع عن طريق تطويرهم لأنماط جديدة من التفاعل، وتغييرهم لقواعد المجتمع وموارده. ولا يترجح حدوث هذا التدخل في كثير من الأوقات، وذلك لأن البشر –في نظر **جيدنز**- في حاجة ماسة إلى القدرة على التنبؤ بالعواقب وإلى الروتين المنتظم في عمل الاشياء. وقد اعتبر جيدنز هذه الرغبة في "الأمن الوجودي" حاجة إنسانية أساسية. ومع ذلك، فإن الافراد ليسوا مقيدين تماما لأن التغيير يظل دائما أمرا واردا. وقد تقوم الأبنية الاجتماعية بتحديد الاختيارات المتاحة للأفراد على امتداد حياتهم، إلا أن قيمهم ومعتقداتهم وقدراتهم وخبراتهم، هي التي تشكل الاختيار الذي يقرورنه.

يعترف **جيدنز** بأن لدى الأفراد تلك القدرة على التأمل في أفعالهم وعلى تغيير سلوكهم التالي، أي التدخل في ضوء عملية التغذية المرتدة. ويسمى هذه العملية : الانعكاسية (الرقابة الذاتية أو التأمل النقدي)، وهي ليست محصورة في الأفراد فقط، فالجماعات الاجتماعية لديها القدرة كذلك على التأمل في القضايا البنائية وفي التدخل في ضوء هذا التأمل. فإن كل شيء بما في ذلك الأفراد والمؤسسات يصبح منفتحا أمام الانعكاس والرقابة الذاتية، ويتم تناول الممارسات الاجتماعية باستمرار، ويعاد تناولها في ضوء المعلومات الداخلة (المرتدة) وعمليات التقييم الذاتي. ويؤدي ذلك إلى أن يأخذ جيدنز في اعتباره تحول الملامح الشخصية للوجود اليومي في الحداثة، وتدفع ضغوط العمل والحياة المنزلية الافراد باتجاه البناء المستمر للهويات الذاتية باعتبارها جزءا من مشروع انعكاسي.

أما رؤية **جيدنز** للنظام الاجتماعي والذي يعد مفهومه عن التشكل البنائي من القضايا المحورية في هذه الرؤية، إذ نجد **جيدنز** يعرف النظام الاجتماعي بأنه ممارسات اجتماعية يعاد انتاجها، أو بأنه "علاقات يعاد انتاجها بين الفاعلين أو بين كيانات اجتماعية تنتظم في صورة ممارسات اجتماعية روتينية". فالنظم الاجتماعية ليس لها بناء إلا أنها تكشف عن وجود بعض الخواص البنائية، فهي

غير موجودة في حدود زمانية أو مكانية، ولكنها تتخلق على نحو ديناميكي من خلال الممارسات التي يعاد إنتاجها (أعني بذلك من خلا القواعد /الموارد)، ومع أنه من الممكن أن تكون بعض النظم ثمرة الفعل العمدي المقصود، فإن **جيدنز** يؤكد بقوة على حقيقة أن مثل تلك الأنظمة يغلب عليها أن تكون هي النتائج غير المتوقعة للفعل البشري، وقد تصبح هذه النتائج غير المتوقعة ظروفا لا ينتبه لها أحد للفعل وللتغذية المرتدة التي تعود إليه. وقد تقاوم هذه الظروف المحاولات الرامية لإخضاعها للسيطرة، ولكن الفاعلين يواصلون –رغم ذلك- جهودهم لفرض مثل تلك السيطرة.

وهكذا يزود مفهوم "التشكل البنائي" **جيدنز** بوسيلة لدمج الفعل مع البنية. وما يترتب على هذا الدمج من رؤية للنظام الاجتماعي تتميز بالاعتماد المتبادل بين الفعل والبناء (يعني بذلك الثنائية) وليس تسلط أحدهما على الآخر (أي الازدواجية). لذلك ليس من العجيب أن يكون رد فعل جيدنز على الخلاف بين حرية الإرادة والجبرية القول بأن السلوك الإنساني ليس محكوما بالكلية بالقوى الخارجية (وهو فحوى الجبرية)، كما أنه ليس إراديا بالكلية (وهو فحوى مذهب الإرادة الحرة)، وبدلا من ذلك يرى **جيدنز** أن القيد الخارجي المطلق أمر نادر، وأن القيود الموجودة في المجتمع يمكن التوفيق بينها عن طريق الاختيار الفردي. إذ أنه من الممكن –في جميع الاحوال تقريبا- "التصرف على وجه آخر"، أي فعل شيء مختلف. ومن ثم فإن القيود –في رأي **جيدنز**- لا تحكم الأفعال بصورة جبرية، بل تقوم بعملها عن طريق "وضع حدود لنطاق الخيارات المتاحة لفاعل ما".

1.8.تقييم نظرية التشكل البنائي: من الصعوبة بما كان أن نحصي مقدار التاثير الذي أحدثته كتابات **جيدنز** لأن نظريته في التشكل البنائي تتصف بالتجريد إلى حد كبير. ومع أنها تقدم بوصفها نمطا للتحليل له امكانياته الكامنة فيه.إلا أنه لم

يسع لتطبيق أفكاره في البحوث الإمبريقية. ومع ذلك فإنه يلفت الإنتباه إلى أعمال إمبريقة التي تقدم أمثلة لثنائية الفعل والبناء. وأحد هذه الأعمال كتاب (ويليس Willis) بعنوان "تعلم العمل". والتي يرى **جيدنز** أنه يبين كيف أن الأبنية يتم إعادة بنائها، عن طريق أفعال الفاعلين بوصفها نتائج لأفعالهم غير مقصودة من جانبهم، شاهد أنه بتخلي شباب العمال عن التعليم نجد أنهم أصبحوا يختارون لأنفسهم وظائف زهيدة الأجر ولا مستقبل لها، الأمر الذي يجعلهم عاجزين عن تغيير حياتهم. ومن الأمثلة الاخرى أعمال إيلين باركر (Eileen Barker) عن الدين، وخاصة كتابها بعنوان "تكوين العضو في الطائفة المونية The Making of a Moonie

أول نقد موجه إلى نظرية **جيدنز** حول التشكل البنائي مغالاته في التأكيد على الاعتماد المتبادل بين البناء والفعل أي الثنائية .ورفض الازدواجية معناه العجز عن رؤية الفروق والاختلافات المهمة بين الفعل والبناء. من الانتقادات الموجهة لنظريته هو انتقائيته وعدم تواصله وافتقاره الادوات التجريبية، وافراطه في تأكيد العامل الفردي (سكوت، 2009، صفحة 236).

09.المحاضرة *الثامنة*: علم *اجتماع* العلوم:

يعتبر **روبرت ميرتون** من المفكرين الذين أسهموا في التناول العلمي الدقيق لهذا الجانب السوسيولوجي والمتمثل في سوسيولوجيا العلوم. أسهم **ميرتون** بأفكار مهمة في الموضوعات الأساسية أو البؤرية لسوسيولوجيا العلوم والمتمثلة في: الاخلاقيات العلمية، الجماعة العلمية، جذور العلم الحديث.

*أما تحليل **الأخلاقيات العلمية** قد تم في سياق النقد السائد لمصير العلم في ظل النظام النازي الشمولي (نظام أدولف هتلر العسكري) في ألمانيا، وأظهر ميرتون

أن النظام الذي يعمل وظيفيا بصورة جيدة هو النظام اللبيرالي، وأمن ميرتون بأن مستقبل العلوم مرتبط بانتشار الوضع والمؤسسات الديمقراطية. ويرى ميرتون أن الأخلاقيات العلمية تبدو على أنها نموذج مصغر لأخلاقيات الديمقراطية، وهي تعرف كمايلي: "إن الأخلاقيات العلمية هي بدرجة كبيرة عبارة عن مجموعة معقدة من القيم والمعايير التي تفرض على العلماء". والقيمتان الرئيسيتان هما: **الموضوعية** (الالتزام بتحصيل المعرفة بالقدر الملائم والتام بقدرالإمكان)، **والاصالة** (الإلتزام بتحصيل معرفة جديدة)، وتحدد المعايير أو (الاحتياجات المؤسسية) الوسائل المقبولة أو المفضلة لتحقيق هذه القيم. وهناك أربعة منها، وهي: **النزعة العالمية** التي تتطلب من العلم أن يكون غير شخصي، **والشيوعية** التي تتطلب لأن تعامل المعرفة العلمية ليس بوصفها ملكية خاصة لمبتكرها، بل باعتبارها سلعة عامة، يتم توزيعها مجانا. ونزعة **عدم وجود المصلحة** التي تطالب باخضاع المصالح الخارجية (العرضية) لحالة الرضا الداخلية (الجوهرية) في التوصل إلى الحقيقة. ثم نزعة **الشكوكية المنظمة** التي تتطلب من العالم أن يكون شكاكا، ثم يختبر هذا الشك ومدى صحة وجوده من عدمها. ويتم ذلك من خلال النقد العام الذي يقوم به العلماء وإسهاماتهم في المعرفة العلمية.

كان **ميرتون** مدركا جيدا لهذه الصورة المثالية للأخلاقيات العلمية التي نادرا ما توجد في الواقع العملي. يكمن السبب الأكثر أهمية للشذوذ عن هذه الأخلاقيات في الأخلاقيات العلمية نفسها. فالسلوك غير المألوف في العلوم يشتق أساسا من القيم الكبرى المفروضة على الأصالة، حيث تكون فرص وإمكانيات انجاز نتائج أصيلة أكثر اعتمادا على المهارات الشخصية (مثل الذكاء والقدرات والتنافس)، وعلى القيود البنائية (محدودية المصادر، وتخلف الثقافة العلمية، وعدم توافر التكنولوجيات، وما إلى ذلك) "وفي هذا المجال، فإنه يتم استدعاء جميع وسائل السلوكيات للتطبيق، ويكون بعضها متجاوزا القيم العلمية". ويمكن أن تتضمن

النماذج تزوير أو تلفيق المعلومات أو إدانة المنافسين، أو العدوانية الشخصية أو الاستسهال.

*أما المظهر الأخر من مظاهر العلم التي ذكرها سابقا فهو **الجماعة (المجتمع) العلمية** وهو عبارة عن نوع محدد من التنظيم الاجتماعي الذي يكونه العلماء في دور علاقاتهم السلوكية والمتبادلة والتفاعلية، وهناك العديد من النظم الفرعية داخل المجتمع العلمي، أولها: "نظام اليقظة المؤسسية" لتناول وتقييم ونقد والتأكد من النتائج العلمية من قبل النظراء الأكاديميين.وثانيها: "النظام الاتصالي للعلم" وهو الآلية المعقدة للنشر العلمي التي تجعل النتائج ملموسة. وهنا يلاحظ **ميرتون** أن الأعمال المنشورة من قبل علماء معترف بهم كان لديها حظ أوفر في المجتمع العلمي، مقارنة بأعمال تساويها في الأهمية والأصالة لعلماء آخرين أقل شهرة منهم. وثالث نظام فرعي داخل المجتمع العلمي هو: "الآليات المعقدة للتقدير العلمي" وتخصيص الجوائز التي يتم الانحياز فيها –مرة أخرى- لصالح علماء معرفين، وتؤدي هذه العمليات كلها إلى ظهور نظام علمي متعدد الفئات، ويرتبط باختلاف العلماء النمطي وفقا لمعايير محددة. وأخير "النظام العلمي الخاضع للتأثير غير الرسمي"، وهو عبارة عن شبكة من الصلات والمصالح والصدقات والولاءات الشخصية التي تتقاطع مع النظم الأخرى، وتقوم بإحداث تعديل ملموس في طريقة عملها. وأولى ميرتون قدر كبير من الاهتمام لهذا المجال غير الواضح، مركزا بصورة كبيرة على المفهوم الذي ظهر في القرن السابع عشر وهو الرابطة العلمية الخفية، وكذا فكرة (الفكر الجمعي) التي ظهرت في القرن العشرين*.

*.مسالة الفكر الجمعي أو العقل الجمعي لفت هذا المصطلح اهتمام الكهنة ورجال الدين والزعماء. الذي من خلاله يمكن تمرير فكرة بين الناس، بحيث تتحول بمرور الوقت لشيء اقرب للمعتقد أو الثوابت التي لا تتزحزح من مكانها. والأصل هو التفرد في التفكير والاستثناء هو التجمع والاندماج. فعندما يجتمع الناس يظهر ما يسمى بالعقل الجمعي، وهي طريقة تفكير غائمة تسيطر على الأذهان، فتسلب الفرد القدرة على التفكير المنطقي المنظم، وينتشر بسهولة تحت تأثير أفكار هلامية يعتقد فيها ومن حوله. وهي حالة ما تكون الوباء العقلي.

*وثالث مظهر اهتمام **ميرتون** بسوسيولوجيا العلوم -وحصل ذلك منذ بدياته العلمية الاولى- هو: "الأصول التاريخية للعلوم وتطورها التالي (جذور العلم الحديث)" وهي أطروحته للدكتوراه، قام ميرتون بدراسة جذور العلوم التجريبية في انجلترا في القرن السابع عشر، ولاحظ فيها وجود صلة بين الالتزامات الدينية والاهتمام المستمر بالعلم، وذكر أن العلماء الانجليز في هذه الفترة كانوا بروتيستانت أو بيوريتانيين. واعتبرت القيم والمواقف التي تتسم بالجنوح إلى البروتيستانتية ذات تأثير كبير في تيسير عمل البحوث العلمية من خلال ابتكار الرهان التجريبي للتعريف بالنظام الذي خلقه الرب في العلم وتطبيقاته العلمية، ولأنهم قاموا بشرعنة البحث العلمي من خلال التبرير الديني، وبمجرد حصول العلم على الشرعية المؤسسية، فإنه عمد إلى خدمة صلته بالدين، ثم اصبح في النهاية قوة مضادة ومحدا من نفوذ الدين، لكنه اعتبر الدين أمرا مهما للغاية (سكوت، خمسون عالما اجتماعيا اساسيا. المنظرون المعاصرون، 2009، صفحة 358).

قائمة المراجع:

ابان كريت. (1999). *النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هبرماس*. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، المحرر، و محمد حسين غلوم، المترجمون) الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

ارفنغ زايتلن. (1989). النظرية المغاصرة في علم الاجتماع. (محمود عودة وابراهيم عثمان، المترجمون) الكويت: منسشورات ذات السلاسل.

جميل حمداوي. (2015). *أسس علم الاجتماع*. file:///C:/Users/PC%20GIGA%20COMPUTER/Downloads/(%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9%20SocioLogists)%D8%A7%D8%B3%D8%B3%20%D8%B9%D9%84%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9.pdf.

جورج ريترز. جيفري ستيينسكي. (2021). *النظريات الحديثة في علم الاجتماع* (الإصدار 1). (ذيب بن محمد الدوسري واخرون، المحرر) السعودية: مكتبة جرير.

جورج ريترز. جيفري ستيينسكي. (2021). *النظريات الحديثة في علم الاجتماع*. (ذيب بن محمد الدوسري، المترجمون) المملكة السعودية: مكتبة جرير.

جورج زيترز. جيفري ستيينسكي. (2021). *النظريات الحديثة في علم الاجتماع* (الإصدار 1). (ذيب بن محمد الدوسري واخرون، المترجمون) مكتبة جرير.

جون سكوت. (2009). خمسون عالما اجتماعيا اساسيا. المنظرون المعاصرون. *ط1*. بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

جون سكوت. (2009). خمسون عالما اجتماعيا اساسيا. المنظرون المعاصرون. *ط1*. (محمود محمد حلمي، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

جون سكوت. (2009). خمسون عالما اجتماعيا اساسيا. المنظرون المعاصرون. *ط1*. (محمد محمود حلمي، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

فتيحة طويل. (نوفمبر, 2014). المرتكزات المعرفية لفينومينولوجيا متكاملة للتشكيل الاجتماعي للواقع. *(37-36)*. (مجلة العلوم الانسانية، المحرر) الجزائر- بسكرة: جامعة بسكرة.

فليب كابان، جون فرونسوا دورتيه. (2010). علم الاجتماع. من النظريات الكبرى إلى شؤون الحياة اليومية. اعلام وتواريخ وتيارات. *ط1*. (اياس حسن، المترجمون) سوريا-دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع.

نيكولاس لومان. (2010). مدخل الى نظرية الانساق. *1*. (يوسف فهمي حجازي، المترجمون) بغداد: منشورات الجمل.